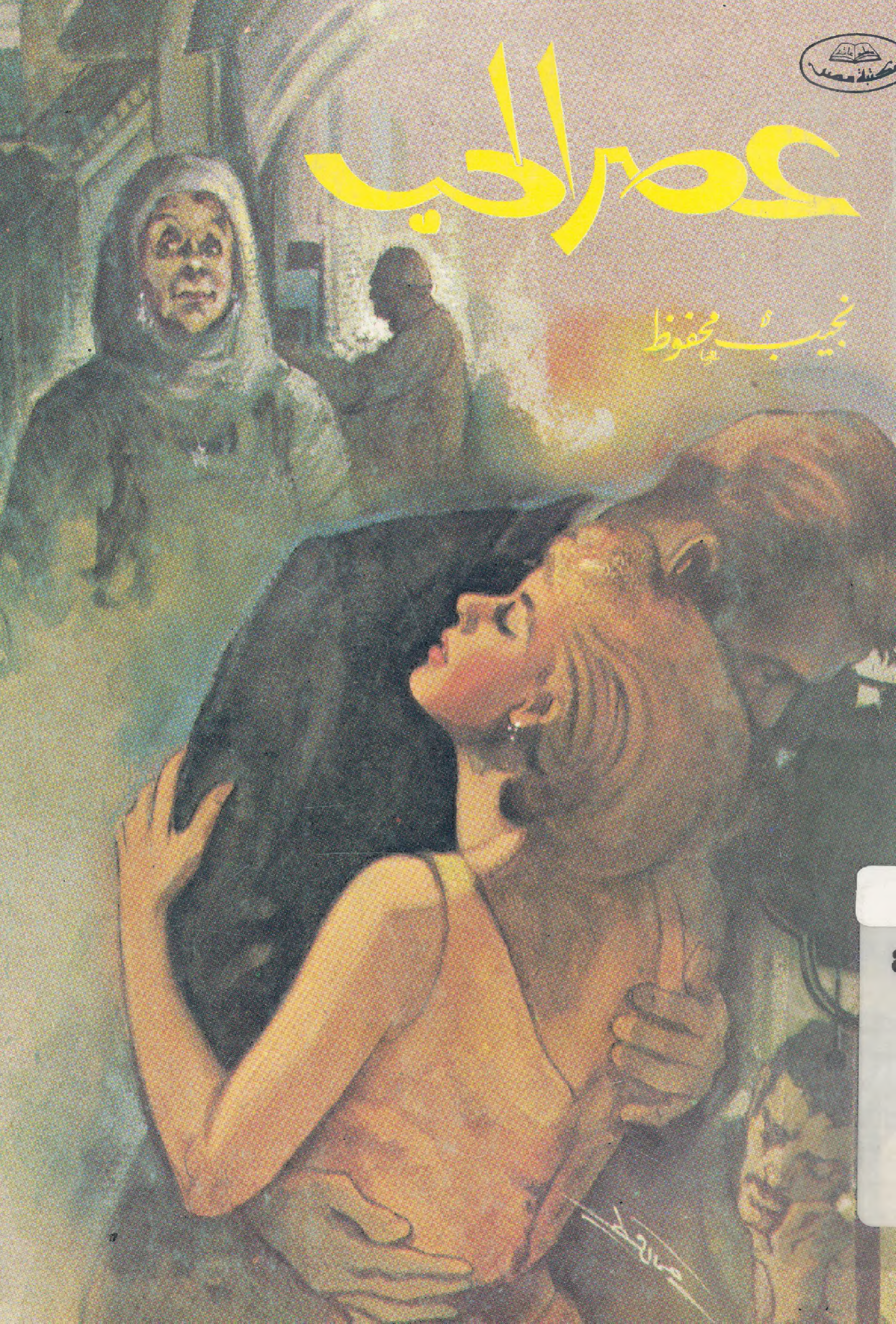




عصر الحب

نجيب محفوظ



مكتبة

عضرا الحبيب

مطبوعات مكتبة المهر

عصر الحبيب

تأليف

نجيب محفوظ

الحائز على جائزة الدولة التقديرية
وجائزة نوبل العالمية للآداب لعام ١٩٨٨

الناشر : مكتبة مهير
٣ شارع كامل صدقي أنجالا
سعيد جودة السحار وشركاه

دار مصر للطباعة
٣١ شارع كامل صدقي

يقول الراوى :

ولكن من الراوى ؟ ألا يحسن أن نقدمه بكلمة ؟
 انه ليس شخصا معيناً يمكن أن يشار اليه
 اشارة تاريخية ، فلا هو رجل ولا امرأة ، ولا
 هوية ولا اسم له ، لعله خلاصة أصوات هموسة
 أو مرتفعة ، تحركها رغبة جامحة في تخليد بعض
 الذكريات ، يحدوها ولع بالحكمة والموعظة
 وتستأسرها عواطف الأفراح والأحزان ، ووجدان
 مأساوى دفين ، وعذوبة أحلام يعتقد أنها تحققت
 ذات يوم . انه فى الواقع تراث منسوج من تاريخ
 ملائكى ينبع صدقه من درجة حرارته وعمق
 أشواقه ، ويتجسد بفضل خيال أمين يهفو الى
 غزو الفضاء رغم تعثر قدميه فوق الأرض الأليفة
 المتشقة التربة وثغراتها المفعمة بالماء الآسن .
 وانى اذ أسجله كما تنهى الى ، اذ أسجله باسم
 الراوى وبنص كلماته فانما أصدع بما يأمر به
 الولاء ، وأنفذ ما يقضى به الحب ، مذعنًا فى
 الوقت نفسه لقوة لا يجوز المجازفة بتجاهلها .

★ ★ ★

يقول الراوى :

انه كانت تعيش فى حارتنا أرملة تدعى ست
عين . امرأة قوية عجيبية الأطوار مثيرة
الأوصاف ، كائن فريد لا يتكرر ، يدعو الى الحذر
بين يدي الحياة الغامضة التى لا حدود
لامكانياتها . وتبدأ حكايتها عادة وهى أرملة فى
الخمسين ذات ابن وحيد يدعى عزت فى السادسة
من عمره . لم لم تبدأ الحكاية قبل ذلك ؟ لم لم
تبدأ وهى صبيبة أو وهى عروس ؟ لماذا
لا يحدثونها عن عم عبد الباقي زوجها ؟ . لم لم
تنجب الا عزت ؟ ولم أنجبته على كبر ؟ أجهاء
النقص منها أم من الزوج ؟ ولكن ماذا يهم ذلك
كله ؟ الراوى ملتزم برؤيته ولو تحرر منها لوجب
أن يسترسل فى التقصى حتى يبلغ رحاب أبينا آدم
وأما حواء . واذن فلتكن البداية وست عين فى
الخمسين ووحيدها عزت فى السادسة وهى
امرأة مرموقة ، ذات شأن ينمو ويتضخم مع
الزمن كمدينة صاعدة ، تملك جميع العمارات
الكبيرة فى الحارة فهى ثرية واسعة الثراء ، بل
لا مثيل لثرائها ، ولا أدرى ان كانت هى موجدة
الثروة أم زوجها ولكن مما يذكر أن شقيقتها
أمونة لا تملك شيئا . أجل لا يقطع ذلك بأن ثروتها
موروثة عن زوجها ، فقد نتصور أن الشقيقتين
تساوتا ذات يوم فى ارث محدود ، بددته أمونة

على حين استثمرته عين ، على أى حال كانت أغنى
شخص فى الحارة بلا استثناء للمعلمين والتجار .
والى الثراء الواسع خصت بصحة رائعة ،
يقولون انها حافظت على رونق الشباب وهى فى
الخمسين من عمرها ، لم يبهت سواد شعرة من
شعرها ، ولا اشتكى لها عضو ، متينة البناء
متوسطة القامة ، لا بدانة تثقلها ولا نحافة
تعيبها ، يتكور نهذاها شامخين وسالمين من أثر
الرضاعة ويكوتان فى مقدمة الجسد مركز ملاحه
مستتر كأنه - بلغة اليوم - محطة ارسال ولكنه
مغلف بالجلال الزاجر ، وأجمل قسماتها العينان
السوداوان يشع منهما نور هادىء ذائب فى
الحنان ، أما الأنف فدقيق ولكنه طويل يرشحه
طوله لوجه رجل ، كذلك فاها الواسع الممتلىء
ويحدثونك كثيرا عن لون بشرتها القمى النقى
الذى لم تمسه الأصباغ ، وخمارها الأبيض
وجلبابها السابغ وتلفيعتها السمرء فلم تر فى
الطريق مندسة فى ملاءة لف أو تزييرة أو متحجبة
ببرقع أسود أو أبيض متحدية الألسن بوقار
العمر وهيبة الخلق وسحر السلوك وحصانة
المنزلة ، معتزة بسمعة مثل شذا الورد ، وفى
حارتنا لا يغض البصر عن نقيصة ، ولا تعفى
نقيصة من القيل والقال ، والحفظ والتسجيل ،
لذلك فليس أبقى فى الذاكرة من سير الفتوات

والقوادين والعاهرات ، ونغالى فنؤرخ بهم الأحداث فتقرن الذكرى بحياة الضبش أو الدنف أو عليّة كفتة . فأن يمضى تاريخ ست عين بلا كلمة واحدة تسيء اليها دليل قاطع على نقائها وطهارتها وفضائلها الجمّة . وهى تمشى اذا خرجت فى الطريق فى صخبة مظلة لا تتخلى عنها صيفا أو شتاء ، تتقى بها الشمس أو المطر أو تنذر بها - فى الأحوال النادرة - من يتعرض لها من السكارى أو المسطولين ويا ويل من يتعرض لها فى ذهوله من أهل الطريق . الحق أنها لم تكن مصونة بسبب عفّتها فحسب ولكن لقوة شخصيتها أولا وأخيرا . كانت بحكم وظيفتها المالية تستقبل الكثيرين من السكان والمتعاملين ، وكانوا سرعان ما يفيقون من سحر جمالها تحت تأثير صوتها القوى ومنطقها الجدى ونظراتها النافذة . حتى الفتوات لم تسول لهن أنفسهن الاستهتار فى محضرها ، وربما رجعوا من لقاءها وهم يتمتمون : « يا لها من رجل ! » . غير أن ذلك لم يعن أكثر من خيبة ثعلب مكار أو هزيمة محتال . لم تكن رجولتها الا أسلوبا وجدته مناسبة للتعامل فى حارة هى أعلم الناس بأحوالها . لم تكن نقصا فى أنوثة أو خشونة فى طبع أو قناعا لستر عورة . كلا . بل كانت الرحمة عينها . لم تصر أسطورة الا بفضل

رحمتها • لو أنها التزمت المكث في دارها لسعى
اليها المحتاجون • وما دارها الا أجمل دار في
الحارة • من الخارج لا يتجلى منها الا جدار
حجري معتم لا يعد بخير ، تتوسطه بوابة غليظة
متجهة تحمل فوق هامتها تمساحا محنطا وفي
نقطة الوسط منها مطرقة نحاسية غبراء على
هيئة قبضة بشرية • اذا فتحت البوابة تبدت
الدار جليلة وافية التقطيع تشى بالعز والنعيم ،
وترامت وراءها حديقة تنفت أخلاطا من روائح
الياسمين والحناء والفواكه ، تدور حول فسقية
ارتفع فوق سورها الرخامى سور من الخشب
منذ تعلم عزت المشى والجري والمغامرة • ومذ
ترملت لم تعد تنتظر المحتاجين في دارها • انطلقت
في الحارة بمظلتها ، تهبط على المحتاج في داره ،
ألفت التجوال الرحيم ، أصبحت الزائرة المترددة
أبدا على ربوع الفقراء ، تنغمس في أسر الكادحات
والأرامل والعجزة • يقول الراوى : ان الحارة
نسيت في أيامها البؤس والجوع والعري ، وهانت
عليها واجبات الزفاف والمرض والدفن • تلاشت
الهموم جميعا تحت مظلة عين ، عين الحنون ،
القلب الخفاق بالحب ، الجود الوهاب بلا
حساب • التى تدير العمارات لحساب الفقراء
والمساكين • انها الطل يهطل على القفر فيتركه
أخضر يانعا يرقص بماء الحياة • أم الحارة ••

المودعة بالدعوات الصالحات ، والبسمات
المشرقات والامتنان الوفير ، باسمها يحلفون ،
بنوادرها في الاحسان يتذكرون الحقيقة والمعجزة
والأسطورة . وكانت تصادق وتناجي وتآلف
وتؤلف قبل أن تقدم الدواء ، كانت تتسلل الى
أعماق القلوب الجريحة فتعايش الآلام وتخالط
الأحزان وتوادد التعساء كأنما تتعامل مع أبناء
أو تؤدي رسالة طرحتها عليها قوى الغيب ،
ويقال انها مارست الاحسان في حياة زوجها عم
عبد الباقي في نطاق الدار وبقدر محدود ثم
انطلقت انطلاقها الوردية عقب ترملها . كان
المظنون أن تقتصد عقب الترميل ، وأن تقتصد
أكثر حبا في عزت الصغير ، ولكنها تجاوزت منطق
الأشياء بجناحين مستغارين من الفردوس ، رغم
أمومة قوية وعميقة ، فلم تسعد امرأة كما سعدت
بالأمومة التي وهبتها في فترة حرجة غير متوقعة ،
اعتبرت عزت هبة السماء لقلبها الوحيد .
أسرها الامتنان للرحمن وأحيت ليالي البر للحسين
والسيدة وأبو السعود طيب الجراح . وكم
أمضت من دهور وهي ترنو بمقلة مسحورة الى
الوجه الصغير ثم تمضي في طريق الخير ناشرة
شراع الرحمة ، في وجهه يتراءى أنفها الطويل
وبشرتها النقية وعينا الأب الجاحظتان . وقالت
انه ولد لا بنت . والعبرة بالقلب ، فليكن قلبه

عذبا حنونا • وهو نشيط وأنانى ولا يتخلى عنها
الا بالهزيمة ، وهو أيضا مدمر يبعثر الأزهار
ويطارد النمل ويقتل الضفادع ، ولا ينام الا
وهى تقص فوق رأسه القصص • أظن نفسه
سلطانا ؟ هكذا تتساءل ضاحكة ، تتساءل بقلب
شكور ونفس زاخرة بالرضى وبهجة الزهور
المتفتحة ، ويخطر لها على سبيل الدعاية أن
تفصل له جبة وقطانا وعمامة ، وترامقه وهو
يتزى بها طروبيا ، ثم تقول : « ما أجمل أن نهدينا
بعد زهدك فيها الى الشيخ العزيزى » ثم تعرضه
على صديقاتها من طلاب الرحمة متسائلة :
« ما رأيكن فى هذا الشيخ ؟ » فيجبنها « قمر ورب
الحسين فليمد الله فى عمره الى الأبد » وتتفكر
قليلا فى « الى الأبد » وهى ذكية بقدر ما هى
مؤمنة • وتغشى سحابة ربيع صفاءها فتغمغم :
« فليكن يومى يا رب قبل يومه ولتدقننى عند
القضاء يداه » وسرعان ما تتذكر جيلا راحلا من
أحبائها فتقتحم مخيلتها القبور والشواهد ،
والصبار والرياحين ، وصور مسربة بالحياة
من البشر فتغمغم مرة أخرى : « انهم أحياء معنا
ولكن لا يعلم الغيب الا الله » •

وتسألها أم سيدة ذات يوم :

— كيف صرت أشرف خلق الله ؟

فتستغفر الله تواضعا وتتمتم وهى تدارى

سرورها الذى تجلى فى ابتسامه خفيفة كلمعة
ضياء فى سحابة يمر وراءها القمر :

— ما هى الا رحمة الله بعابدة مخلصه .
ثم تسائل نفسها :

— كيف لى أن أدري بما يجعل سعادتى فى الحب
العطاء ؟

وعرف وذاع أنه عندما مرض عزت بالحصبة
قدمكت مسهدة لا تذوق النوم ثلاثة أيام .

★ ★ ★

وقد مضى زمن وجاء زمن . تغيرت حارتنا
بدرجة ملموسة وتمخضت عن أجيال جديدة ذات
مزايا باهرة ولا تخلو أيضا من غرابة ، وكانوا
يتخذون موقفا خاصا مما يروى عن ست عين ،
موقفا يتسم باللامبالاة ولا يخلو أحيانا من
قسوة :

— لم نطالب بتصديق ما يروى دون مناقشة ؟
— انها حكاية جميلة ولكن هل تصمد أمام
التمحيص ؟

— ألا ترون أن التاريخ العلمى نفسه تحوم
حوله الشكوك ؟

— الاحسان ظاهرة حقيقية ولكن ليس على
تلك الصورة .

— ولا تنسوا أن الاحسان نفسه لعبة من
الاعيب الأنانية .

— اليكم حقيقة ست عين التي طمس الحب
عليها ، كانت مجنونة بالرحمة والاحسان .
ولكنها لم تجد العين التي تنفذ في أعماق الظواهر ،
ولو وجدتها لتكشفت عن امرأة أخرى لها سيرة
بشرية حقيقية ، وربما حافلة بالفضائح .

★ ★ ★

— ما عسى أن أقول ردا على ذلك ؟ أقول ما
سبق أن قلت من أن حارتنا تتطوع دائما بتكبير
العيب ونشره ولكنها لا تعترف بالخير الا عندما
لا تجد مفرا من ذلك . فضلا عن ذلك فان حكاية
عين لا تخلو من ضعف بشري مما يؤكد صدقها
وواقعيتها ، ولكننا نأبى التسليم بالمثل العليا من
طول انغماسنا في الماء الآسن . المحاكم مكتظة
بالأخوة ، ومن يسقط في الطريق يموت وحيدا .
وما زلت متشبثا بتصديق حكاية عين فما من
حكاية الا وتعبر عن حقيقة ما كما أنه ما من ألم
الا ويشير الى جرح ما . فحق لا شك فيه أن ست
عين تمشي متلفعة بشملتها السمرء ومظلتها
العتيقة وجلبابها السابغ . الابتسامة تشرق في
صفحة وجهها الوقور ، تسعد بالدعاء والتحيات
والنظرات المعجبة . تمضي نحو الربوع البالية ،
تجلس بين التعساء ، وتهتف :

— كيف حالكم يا أحياء ؟

تسأل عن زينب ، وعم حسين ، وأم بخاطرهما ،

ثم تغادر المكان بعد أن فرشته بورود الرحمة ،
وما أكثر الذين يطالبون بدراستها على ضوء
الغريزة وأنا وأنا الأعلى ، ما أكثر الذين
يحومون حول حياتك الجنسية يا عين . ما أكثر
الذين ينقبون لك عن فضيحة في حفائر الذكريات .

★ ★ ★

ويقول الراوى : ان عين كانت تعشق الفصول
الأربعة . ألفنا أغلبية الناس تؤثر بالحب فصلا
بعينه أو فصلين أما هي فكانت تعشق الفصول
الأربعة . تحب الشتاء والسحب والمطر ، لا تحول
رياحه بينها وبين الجولات الثملة بالعطف ، ولا
يفزعها مطره اذا انهل فوق مظلتها المنشورة
وجرى تحت قدميها ماء عكرا . وتحب الصيف
وتتوافق سريعا مع حرارته وتنوء بلياليه العذبة ،
وتعشق الخريف وتقول عنه انه فصل الجمال
المغسول ، والليالي المفتونة بالنجوى وتحيات
الوداع المتبادلة . أما الربيع فهو فصل الحديقة
والأصوات ، وتجيء الخماسين محملة بالرسائل
من أراض بعيدة مجهولة تشتعل أفئدتها بنار
مقدسة ، وهي تستجيب ولا شك للفصول المتغيرة
بطبيعتها السمحة وإيمانها الراسخ .

وتموج حارتنا بالعواطف والانفعالات
والأصوات المتلاطمة ، وتجتاحها العواصف
والخصومات ووجهاً النظر المتضاربة فتتابع

ذلك بهدوء واشفاق ، وتدعو للخير أن ينتصر ،
ولا يرد على قلبها خاطر سوء أبدا . ولم يكن عن
لامبالاة صفاؤها ، فهي تدرى غالبا - هي التي
لا تنقطع عن الناس - أين يتأرجح الخير وأين
يكمن الشر ، وهي كما قلنا تدعو للخير أن
ينتصر ، ولكنها لا تنسى أن جميع المتنازعين أو
كثرة منهم في حاجة الى عونها !

★ ★ ★

ومما يذكر أن عامة المستهينين بها لم
يعاصروا نشاطها ، ولم يدركوا الفترة الأخيرة
من حياتها ، ولا شهدوا ختامها . ومما يذكر
أيضا أن أكثرهم نشأ وتربى وشق طريقه بفضل
احسانها ورحمتها ، ولكنهم يجهلون ذلك ، أو
يتناسونه أو يسيئون تأويله كما رأينا ، وتتلاحق
الأعوام فتتضخم السيرة في ضمير الراوى حتى
تصير جبلا شاهقا ، ولكنه مثل سائر الجبال
يتعرض لعوامل التعرية .

و ذات يوم - كما يقول الراوى - تجلس ست
عين تحت خميلة الياسمين فى الحديقة ترمى
بلباب الخبز المغموس فى المرق الى مجموعة من
القطط لا تقل عن الخمس عدا ، وعزت واقف
بجلبابه المقلّم وصندله فيما بين الخميّة
والفسقية ، يقبض بيده الصغيرة على شعاع
الشمس الغاربة الذى يتقلص على جذع شجرة
الليمون ، الصيف يودع الأيام الأخيرة من
رحلته ولم يبق على مدفع الافطار الا قليل . وعين
تطعم القطط بيدها ، وتؤلف بينها وبينها ساعات
الطعام وساعات المؤانسة : الأم بركة طحينية
اللون ذات نجمة بيضاء فى وسط الرأس ، والأب
أبو الليل أسود فاحم ، انعام وصباح من
سلالتهما ، ونرجس مهداة من أسرة غريبة
وكلهن روميّات منقوشات الشعر ، عن العلاقة
الحميمة بينها وبين القطط ، عن التفاهم
والتخاطر ، عن المودة والتناغم ، عن الطاعة
والدلال ، عن الولاية والأسرار ، عن كل أولئك
تحكى القصص والنوادر .

وفي الهدوء يعلو صوت مستأذنا :
- يا أهل الله !

ترامى من ناحية الممر المفضى الى مدخل الدار ،
تبتسم عين مستأنسة وتهتف :
- تعالى يا أم سيدة •

تقبل المرأة في ملاءتها ألف سافرة الوجه شأن
الكادحات من نساء الحارة ، تتبعها صغيرتها
سيدة بشعرها المشط وقبقابها الأخضر ،
تتصافح المرأتان على حين تمضي سيدة بتلقائية
نحو عزت لتشهد صراعه مع شعاع الشمس
الغاربة • ورغم أنها تماثله في السن - السادسة
- الا أنها تكبره تجربة ووعيا بأربعة أعوام •
التفت نحوها التفاتة مقتضية ثم رجع الى
الشعاع ، ووقفت هي تراقبه باسمه وصامتة •
وقالت عين لأم سيدة :

- لم أراك منذ ثلاثة أيام يا ولية يا خائنة •

تضحك أم سيدة من حنجرة غليظة وتقول :
- للرزق أحكام يا ست الكل •

ثم وهى تجلس فوق الأعشاب عند قدمي
عين :

- ربنا يعلم أن يوما يمر من غير أن أراك
لا يحسب من العمر •

القطط في حركة متوترة بين انكباب على الباب

والتحديق في عين بأعين شفافه مذعورة ، وقالت
عين :

— دائما تعثرين على الكلمة المناسبة ، مشغولة
بعروس جديدة ؟

— الخاطبة تشوف العجب ، من يصدق أن
عريسا يرفض من أجل حلة نحاس ؟
— ماذا تقصدين ؟

أدركت أم سيدة أنها فهمت قصدها فقالت
باسمة :

— انه شاب يستحق الاحسان !
تقوست بركة فارتفع ذيلها مثل نافورة ،
شبعنا فيما يبدو ، وثبت فاستقرت فوق الأريكة
جنب عين فهددهتها براحتها وبركة تستجيب مثل
موجة راقصة . تساءلت أم سيدة مترددة
وموجهة خطابها الى القطعة :
— كيف أنت يا نرجس ؟
فهمت عين :

— انها بركة ، رأييت كيف نسيت أهل الدار ؟!
فضحكت أم سيدة ، ولحت عزت فهمت :
— كيف حالك يا سى عزت ؟

فلم يهتم بها وقالت عين معتذرة عنه :
— انه مشغول بشعاع الشمس !
فضحكت أم سيدة كرة أخرى وقالت بحماس :
— رائحة الملوخية تملأ الحارة !

— أهذا ما جاء بك يا نهمة !
فراحت المرأة تناجي شذاً الياسمين والحناء
في نبرة غزل ممطوطة منغمة .

★ ★ ★

عقب الأذان غيرت عين ريقها على عصير
خشاف فاتر ثم نهضت لتصلى المغرب على حين
جلست أم سيدة الى المائدة بعد أن نزعت عنها
الملاءة وهي تتمتم « لا حياء في الجوع » وراحت
خادمة تشعل المصباح الغازي الكبير المدلى من
السقف فوق السفرة ، ثم أشعلت قنديل القرائدة
المطلة على الحديقة ، ومضى الإفطار في المضغ
تخلله كلمات عابرة . وانتقلت بعد ذلك الى
الشرفة فجلست عين على الكنبه وأثرت أم سيدة
أن تقتعد شلثة لتمد ساقها ترويحاً لمعدتها
المتخمة . ولفت سيجارة ، تخدرت من أول نفس ،
نعست عيناها العسليتان وانتفخ أنفها الغليظ
الممسوح الأرنبة كرأس قطة . وسيطر الصمت
قليلاً تحت تأثير رغبة ملحة في الراحة ، وجاءت
خادمة بفانوس عزت اللون فهفت نفس عين الى
الانطلاق وقالت :

— ما أحلى المشي عند الحسين .

فتمتمت أم سيدة ضاحكة :

— عندما ترجع الى القدرة على المشي .

ولفت سيجارة ثانية فتمتمت عين :

- الشكر لله فالليل جميل .
- فرمقتها أم سيدة بنظرة طويلة ثم قالت :
- عندي ما هو أجمل .
- ما عندك الا حديث الزواج أو اغتياب عبد من عباد الله .
- انه حديث زواج !
- حقا ؟ .. عندك عروس لعزت ؟
- فقات المرأة بابتهاال :
- بل عندي عريس أو أكثر ان شئت .
- فنظرت اليها بارتياح على ضوء القنديل الأزرق فقالت أم سيدة :
- وأنت العروس المنشودة !
- لوححت عين بيديها محتجة وهتفت :
- عليك اللعنة .
- فقات بحماس متصاعد :
- ما من رجل أصيل في حارتنا ..
- ولكن عين قاطعتها :
- احتشمى يا ولية !
- يا ست الستات ما زلت شابة جميلة ..
- فقات بحدة :
- لو أردت الزواج ما لبثت حتى اليوم أرملة .
- ولم تبقيين أرملة ؟
- هس .
- زجرتها وهى تتطلع نحو السور القديم وقد

علاه البدر غظيم الثراء عميق الحمرة وانى
الضياء يبدأ رحلته • تركتها تنعم بالنظر ولكنها
أصرت على الرجوع الى الموضوع فقالت :
- ورب القمر ..

غير أنها قاطعتها بلهجة حاسمة :
- كفى يا أم سيدة ، انه عزت ، انه عزت
وكفى ..

ثم تنبعت من غفلة فتساءلت :
- أين الولد ؟ •

فاستاءت أم سيدة من قطع الحديث وقالت :
- فى الداخل طبعاً •
- وأين سيدة بنتك ؟

- لا شك تلعب معه ، لم يخرج ، ها هو
فانوسه ينتظر •

قامت عين • هبطت درجتى الثرانة ، غاصت
فى ظلمة الحديقة حتى اختفت تماماً ، ظهرت بعد
قليل وهى تجر وراءها عزت بيد وسيدة بيد ،
وصوتها يتساءل فى غضب :

- ألا تخافان النار ؟
جرت سيدة نحو أمها ، وقف عزت منكس
الرأس • قالت عين مخاطبة أم سيدة :

- هى اللعنة ، أرايت ؟
دارت أم سيدة ابتسامة ولكنها هتفت وهى
تزغد ابنتها :

- - أعوذ بالله
- - الولد برىء ولكن بنتك
- - فتمتت أم سيدة :
- - الله أعلم
- - فتحي عينك يا أم سيدة
- - عيني مفتوحة دائما

★ ★ ★

- - ولم تنس عند الوداع أن تقول لعين :
- - لنا عودة الى موضوعنا
- - ولكن عين قالت بحزم :
- - سدى هذا الباب بالضربة والمفتاح !

٣

هامت في الصفاء المعهود خواطر قلقة •
ليست بالخطيرة ولكنها تكدر بعض الشيء من
ألف الصفاء ، ما وجه الانزعاج الحقيقي وراء
عبث طفل ؟ • قد آن له أن يذهب الى الكتاب •
ورجال ثمة يطمحون الى مالها • وتنظر الى المرأة
المثبتة في الاطار العاجي الموشى بالآيات وتهز
رأسها ، وتتذكر وعدّها لعزت يوم وفاة أبيه بألا
تتيح مكان الأب لغريب • مضت خمسة أعوام
فلم يهن العزم • الفصول وحدها تتغير وتمر

الأعوام . وما يشغل بالها حقا فهي شقيقتها
أمونة . إنها تكبرها بعشرة أعوام فهي شقيقة
أمونة وأمها . وتتذكر أمهما ، تتذكر بالاختصاص
وفاتها . حزنها عند الفراق رائع ، كذلك حزنها
على أبيها . كما أشعل فراق الزوج قلبها .
حزنها عميق كأفراحها ولكن الحزن يعمر أكثر ،
ما أن تزور القبر حتى تخشع وتسترسل في
المناجاة . انهم مثلنا أحياء ولكن لا يعلم الغيب
إلا الله . ما يؤلها حقا هو حدسها أن أمونة
تضمحلها الحسد . وهي من ناحيتها لا تضمن
عليها بخير ولكن ذلك لا يستأصل الحسد .
ما زالت أمونة تقول لها :

— انك تبعثرين مالك بغير حساب .

فتقول عين متضايقه :

— انه مال الله .

فتقول أمونة بامتعاض يشوه حسن وجهها :

— مدى علمي أنه مالك أنت يا أختي !

فتقول ساخرة :

— لا نملك في الواقع إلا قبضتين من تراب .

— لم تحبين سيرة الموت ؟

— ربما لأنه يرافقنا في كل خطوة ، هل ينقصك

شيء ؟

— أنت الخير والبركة ولكنني أتحسر على المال

الضائع ..

فتنظر الى سجادة صغيرة معلقة بالجدار
تعكس نقوشها قبة المسجد الأقصى وتهتف :

— اللهم فاشهد ..

ثم ترنو الى أمونة قائلة :

— أهو ضائع المال الذى يجبر الخاطر ويطعم
الجائع ويسند العاجز ويبهج الطفل ؟ !

— دلينى على ثرى أو ثرية ..

فتقاطعها :

— حسبك ، حديثك يتغص على الصفاء ..

لكنها دائما ترجع الى ذلك الحديث كما يرجع
الحمار الى حظيرته بلا مرشد . لذلك فهى لا تشك
فى أن مولد عزت كان صخرة تحطمت عليها
أمواج الجشع ، غير مولده الموازين
والحسابات . وجاءته أم سيدة بالبخور
السودانى الموصوف لتلك الأحوال وهى تقول :

— الأقارب عقارب !

وترضى عين عما تفعل صديقة العمر وتسألها :

— أتدريين ما هو سر السعادة فى هذه الدنيا ؟

— ربنا يسعدك دائما وأبدا ..

— عندما لا نأخذ من المال الا ما يحفظ الحياة !

★ ★ ★

ويقول الراوى : انه فى ليلة القدر من رمضان
زارتها أمونة ساحبة بيدها صغيرتها احسان
ذات الأربعة الأعوام ، وعندما جلستا فى القراندة

- عقب الافطار قالت لها عين برجاء :
- تجنبى ما يسبب لى الكدر .
- واحتستا القهوة فى سلام ثم قالت أمونة
بعذوبة :
- أريد أن أجرب حظى فى ليلة القدر !
- فدعت لها قائلة :
- فليهبك الله حظا سعيدا . . .
- وراحت أمونة تنظر الى القطر وهي تستكن
فى أركان القرائدة وتمتمت ضاحكة :
- انه بيت القطط . .
- اذا شبعست استرسلت فى التسبيح . .
- أنت أدري بلغتها . .
- ثم متسائلة فى شيء من الارتباك :
- هل أجرب حظى ؟
- قالت عين ببراعة :
- عليك أن تنظري الى السماء طيلة الوقت .
- لكن حظى بين يديك أنت يا أختى . .
- حقا !!
- من خلال ما يشبه المجازفة :
- أختى . . ما رأيك فى عزت واحسان ؟
- تشاءمت عين لسبب خفى ولكنها قالت :
- عزت ابني الصغير واحسان بنتك
الصغيرة .
- ألا تفهمين قصدى ؟

- من الأفضل أن تفصحى عنه •
- انه واضح كليلة القدر •
- فقلت عين بجديّة منذرة :
- هل عندك علم بما يحدث غدا ؟
- لذلك يهمنى جدا ما نستطيعه اليوم •
- اليوم حقا ؟
- نعم •• نكتب كتابهما !
- يا للعجب !
- نحن أحرار فيما نفعل !
- كرهت عين الفكرة واستبشعتها • رأت فيها
- شراهة يجب أن تنبذ • اعتقدت أن أختها فى حاجة
- ملحة الى حمام بمظهر مركز ، هتفت :
- لا يذكرنى ذلك بخير أبدا •
- احسان بنت أختك •
- أمونة •• يسعدنى أن يختارها بنفسه ذات
- يوم ••
- انها جميلة كما ترين ••
- لا أزوج طفلا لم يدخل الكتاب بعد •
- يفعلون ذلك فى الريف وهو مهد الحكماء •
- لا يفعل ذلك الا المجانين !
- اندفعت بركة بغتة نحو الحديقة كأنما شفت
- صيدا ، وساد الصمت منذرا بالشجن ، وانبعث
- صوت أمونة متغيرا :
- أهى كلمتك الأخيرة لى ؟

فقلت عين بجفاء :

— بكل تأكيد .

— أنت .. أنت قاسية !

— أسأل الله لك الشفاء .

فقلت بحدة :

— لست مريضة يا عين !

— الله وحده يعلم .

فتساءلت أمونة بمرارة :

— ترى أيننا المريض ؟

— لسانك حصانك يا أمونة .

قامت بشدة وهي تقول :

— طول عمرك تكرهيننى ..

— حقا ؟

— وتحسديننى !

— أحسبك ؟ !

— رغم مالك الوفير تحسديننى !

فقلت وهي تنحى وجهها عنها :

— لا تستدعى الشيطان الى قلبى ..

فصاحت أمونة :

— انه مقيم فيه !

حملت احسان على كتفها وهي تجهش في

البكاء ، مضت تغادر المكان بلا سلام ، تحول

غضب عين الى حزن ، قالت بجزع :

- سأجذك في المرة القادمة في حال أفضل ..
- فجاءها صوتها قائلاً :
- لن ترينى ما حييت ..

٤

فتح كتاب الشيخ العزيزى بابہ وریاح
الخريف تحبو من مهدها الرطيب • عذمت عين
على ارسال وحيدها الى الشيخ •
— ستجد في الكتاب التكریم ونور الله •
التكریم لأن الشيخ من رواد احسانها
الدائمين ، ونور الله لأنه ينبثق أول ما ينبثق من
الكتاب •

غير أن عزت تساءل في توجس :
— أليست الحديقة أفضل ؟
فمسحت على رأسه براحتها وقالت :
— للرجولة أحكام •

وتذكر عزت جماعات الصبيان والبنات وهم
يغادرون الكتاب في العصىارى • لا تفصح
وجوههم عن سعادة بما جاغوا منه ، ولا رضى
عن شيخه القزم المشوه • ورمقها بنظرة حائرة
فقالت :

— يحب الكتاب الأولاد الصالحون ، في الكتاب

نتعلم ، ولا احترام لانسان بغير العلم ، واحترام
الشيخ واجب كاحترام الأم • اياك وأن تسول
لك نفسك المضحك منه فذلك حرام والله لا يغفره
لعبد !

انه يتذكر الشيخ العزيزى فصورته الغريبة
ماثلة في كل ذاكرة ، قزم مقوس الساقين أقعس
الصدر ، صغير القسمات كطفل ، يتمايل في مشيته
من جنب الى جنب متوكئا على عصا قصيرة
طولها ذراع أو دون ذلك ، كأنه لعبة مما تعرض
في الموالد ، وهيهات أن ينسى أنه رآه في يوم ممطر
وقد حمله فاعل خير على كتفه ليعبر به الطريق •
- أوصيك بصفة خاصة باحترام الشيخ ••

وكررت ذلك بصوت واضح فشعر بنذير
الفرار ، وبالتسوجس من تجربة مجهولة •
واستطردت وهى تحد من نظرة عينيها الجميلتين:
- واسلك مع البنات السلوك الذى يرضى الله !
فتخايلت لعينيهِ الخميلىة تحت سستار الليل
فتورد وجهه وتحرك رأسه ارتباكا فتمت
بلطف :

- عن الماضى قد قبل الله توبتك ••

★ ★ ★

وحينما تلقى الشيخ العزيزى الخبر فى حجرة
الاستقبال - وهو يجلس على حافة مقعد مدلى

الساقين فوق سطح الأرض بشبرين - تهلل وجهه
وقال :

- طالما انتظرت هذا اليوم لعل أرد جزءا من
ألف جزء من جميلك ..

لكن عزت حين تربع في الصف الأول - فوق
الحصيرة - أمام سدة الشيخ بدا هذا شخصا
آخر ، لا رجب به ولا شجعه بابتسامة وكأنه لم
يره ولم يسمع به . عجب أيضا للنظرة الثلجية
التي تستقر في محجريه ، والصرامة التي تكسو
وجهه الصغير ، على حين جلس الصغار
والصغيرات في صمت تلفهم رهبة وتتحكم فيهم
قوة مجهولة . أين اللعبة التي تتابعها الأعين في
الطريق بعطف وسخرية ؟ انه الآن يتسلطن في
مملكته ، يمارس قوة غير محدودة ، الجريدة
منطرحة جنبه تهدد أيادي وأقدام المتمردين .
أيقن عزت أنه أسير ، بلا دفاع ولا امتياز ، يسرى
عليه ما يسرى على الآخرين ، وأضمر ألا يتكرر
حضوره مرة أخرى ، ولمح سيدة في نهاية الصف
تلاقت عيناهما لحظة فيما يشبه ابتسامة ثم
سرعان ما تجاهلته . ضايقه جو المساواة المخيم
على المجلس ، الجميع سواسية فوق حصيرة
واحدة ، تخطت عنه الامتيازات التي ينعم بها في
أى مكان باعتباره ابن الست عين وربيب الدار
الفاخرة . انه وضع جديد لا يحتمل ولعل أمه

لا تدرى عنه شيئاً • ولح لصق سيدة بنتا تماثلها
 في العمر لم يرها من قبل • شدت عينيه بقوة •
 لها وجه ترى مستدير وعينان سوداوان
 منعشتان • تركت في نفسه أثرا قويا وبهيجا لطفاً
 أله وأنساه حزنه • ترى في أى موقع من الحارة
 تعيش ؟ • هذه العصفورة التى أقصيت قسرا
 عن غصنها • انها البنت التى خطفتها الغولة
 فغامر ابن السلطان بانقاذها • ما أعذب صوتها
 وهى تردد وراء صوت الشيخ الرفيع « الحمد لله
 رب العالمين » • على أى حال فالكتاب ليس شرا
 كله • ولن يمسه الشيخ العزيزى بسوء •



وعندما جاء وقت الغداء جلس كالآخرين
 موجهها وجهه للجدار • حل عقدة المنديل وبسطه
 وراح يقطع الرغبة ، عند ذاك جاءه صوت عن
 يمينه مباشرة :

— ماذا عندك ؟

رأى صبيا فى مثل سنه ، فى عينيه ضيق ولكنهما
 مقبولتان ، فى فكيه قوة ، وفى أنفه فطس ، بدا
 بسيطا ومرحا • ساءه تطفله ولكنّه لم يجد بدا
 من أجابته :

— جبن أبيض وحلاوة طحينية ••

— عال ، معى طعمية وسلطة طحينية • فلنأكل

•• معا

ولم ينتظر موافقته فبسط منديله حتى تماسست
الحافتان ، أشار الى الطعمية باغراء ويده تمتد
الى الجبن ، ثم قدم نفسه قائلاً :

— حمدون عجربة ..

فاضطر الآخر أن يقول :

— عزت عبد الباقي :

— أنا عارف .. ابن الست عين !

استاء من أن يتردد اسم أمه مختلطا بالجبن
والطعمية وسلطة الطحينة ، لكنه لم يستثقل
حمدون وأعجبه نظافة جلبابه وطاقيته ، وقال
له حمدون :

— أنت غير جائع ..

— أشبع بسرعة ..

فلم يرتح حمدون للإجابة ولكنه التهم الطعام
بصراحة ..

★ ★ ★

وغادرا الكتاب معا .. لم يفارقه حمدون
وسرعان ما آنس اليه .. وقال له حمدون !

— نلعب معا ونحفظ معا ونأكل معا .. هه ؟

فحنى رأسه بالإيجاب فقال الآخر :

— وقد يطلع لنا عفريت من القبو فمن الأفضل

أن نكون معا ..

— لا أقترب من القبو ليلا وأمي تحفظ القرآن ..

وإذا به يهتف فجأة « بدرية » فتسابع عينيه

حتى وقعتا على « العصفورة » . نظرت البنت
نحوهما باسمه ثم اندفعت تجرى فسأله :
- تعرفها ؟

- جارتنا .. بديرية المناويشي ..
فأحب صداقته أكثر .

★ ★ ★

وتلقته عين بنظرة متفحصة ومشفقة تمتت :
- مباركة عليك رحلة الرجولة .
فقال بفتور :

- يا له من مكان ثقیل ..
- عليك أن تحبه ، هو الذى يجعل منك رجلا
محترما ..

فقال بتأفف :

- جلست على الحصيرة كالآخرين ..
- كلنا أبناء آدم وحواء ، والمجتهد هو
الأفضل ، لذلك وضعت في منديك طعاما كأطعمة
الآخرين ، وطعامك الآن ينتظرك ، لا تنفر من
أحد ..

فقال مجاراة لها :

- عرفت كثيرين ..

- حقا .. اذكر لى بعضهم .

- حمدون عجرمة ..

- آه .. ولد يتيم يعيش مع خالته ، وهى ست
مستورة وطيبة ، من أيضا ؟

فصمت في حيرة ، ثم قال :

— هو فقط !

— كثيرون ولكنهم تمخضوا عن واحد فقط ! •

وكم عدد البنات ؟

— أربع •

— جديداً عليك ؟

— الا واحدة ••

— سيدة ؟

— نعم •• وعرفت اسم أخرى عند مناداتها ،

بدرية المناويشي ••

— آه •• بنت أم رمضان ، لعلها آخر العنقود

من آخر زوج ، لقد تزوجت أمها خمس مرات

أو أكثر •

فتساءل باهتمام :

— لها خمسة أزواج في وقت واحد ؟

فضحكت عين وقالت :

— سوف تتعلم أن المرأة لا يكون لها الا زوج

واحد ، ولكنها قد تتزوج من آخر اذا طلقت ••

فسألها باهتمام متزايد :

— هل تتزوجين أنت أيضاً من آخر ؟

— كلا •

— لماذا ؟

— لأنني لا أريد •• والآن هلم كل لقمة تسند

قلبك •

وقبيل المساء جاءت خادمة تعلن قدوم صبي
يدعى حمدون عجربة .

٥

لم تكن حياته في الكتاب يسيرة فتلقى كثيرا
من الزجر ولكنه لم يجلد قط . عرف الشيخ
العزيزي أنه لا يستطيع أن يتجاوز معه حدودا
معينة . وتقدم عزت فوق جسر من العثرات ،
وربما أعانه وحمله أحيانا نشاط حمدون
الموفور ، أصبحت صداقتهما حقيقة وقد عرف
مع الأيام جميع الصبيان ولكن بقي حمدون
الصديق الأوحده . ورحبت عين بحمدون ،
أعجبها منظره النظيف ورغبته المبكرة في الحفظ
ورجت أن يجد فيه عزت مشجعا على العمل .
قالت : ان الولد ذكي ومحب للمذاكرة دون أن
يدفعه أحد الى ذلك . وتمنت له مستقبلا حسنا
يعوضه عن يتيمة ، وأكثر من مرة قالت له : ربنا
يفتح عليك ، اذا واطبت على اجتهادك فلن تترك
التعليم لتتعلم حرفة يدوية .

وجعلت تدعوه للغداء يوم الجمعة . وبسبب
ذلك دعت خالته ست رمانة لزيارتها فتوطدت
بينهما علاقة طيبة . وكان زوجها تاجر أجهزة

سرا دقات يؤجرها في الأفراح والمآتم ، ربحه
لا بأس به ولكن كان له من الأبناء عشرة ، رغم
ذلك عطفت ست رمانة على حمدون وعاملته كأي
ابن من أبنائها ، وكان قد ورث عن أبيه قطعة
أرض صغيرة تنفع عند الضرورة للبيع والانتفاع
بثمنها . واعترفت ست رمانة أكثر من مرة
قائلة :

— انى أحبه لاجتهاده . . ينذر أن تجدى
مجتهدا في سنه .

هكذا بشرت الصداقة بخير للطرفين ووهبتها
سعادة بريئة ساذجة ، وكصداقة الصبية لم تخل
من نزاعات فارغة مثل هزيمة تلحق بأحدهما في
الحجلة أو السبيجة ، ولم يكن ابن الست عين
ممن يقبلون الهزيمة بروح طيبة ، ولكن لم تتعد
الخلافات قطيعة ساعة ، وسرعان ما يجيء
التنازل من ناحية حمدون ! .

واللعب في الحارة كان تسلية لا مفر منها ، ثم
بات هدفا سعيدا عندما انضمت اليهما سيدة
وبدرية ، ولم يستهجن أحد ذلك طالما دار اللعب
تحت الأعين وفي ضوء النهار ، واستأثرت
« بدرية » باقبال الصبيين حتى شعرت « سيدة »
بأنها تكملة عدد ليس الا ، لم ينفعها مرحها ،
وتوارى حظها مع دكنة بشرتها وأنفها المتكور
الذى يعيد سيرة أنف الأم . انبهر عزت بوجه

بدرية رغم حداثة سنه ، وسبق قلبه سنه في
الانفعال بعاطفة مبهمه تستقطر الأشواق من
أرض خرافية لا وجود لها الا في الخيال . ولكي
يستأثر باهتمامها حكى لها عن داره ، أثاثها
ورياشها ، عن الحديقة والفواكه والأزهار ،
وقالت سيدة :

— أنا أعرف ذلك كله .

فقال عزت :

— ولكنها لا تعرف .

وقالت بدرية :

— نحن نلعب في الحارة فقط .

وقال حمدون :

— وسيدة تدخل الدار مع أمها .

فقال عزت لبدرية :

— فلتزنا أمك وأنت معها .

فقالت بدرية :

— أبى لا يسمح لأمى بالخروج .

وكانت سيدة تتودد اليه ، ما وسعها ذلك
ولكنه لم يكثرث لها ، وربما وردت على ذهنه
ذكرى الخميلى ولكنها ترد مقرونة بالألم والخوف
والخجل ، أما بدرية فانه يتطلع اليها بخيال
عجيب سعيد مرح يعد بأفراح الدنيا والآخرة .

وقضى عامين في الكتاب حظى فيهما بسعادة
لا تتحقق إلا في دنيا من نسج الخيال والبراءة .

★ ★ ★

وعندما هبت رياح الخريف من مهدها الرطيب
كعادتها في الأعوام السابقة أذنت هذه المرة
بفراق جديد ، حاد وأليم ، أنذر باخراج الولد
الثل من جنته . اعترضه قرار جديد بالتوجه
الى المدرسة الابتدائية لأداء امتحان القبول ، ولم
يغره هذه المرة أن يجد حمدون في رفقته . أما
بدرية وسيدة فقد غادرتا الكتاب ، ومنعتا من
اللعب في الحارة ، فتر حماس عزت وخمدت
روحه ، نجح حمدون في امتحان القبول وسقط هو
في الحساب غير أن زيارة مباركة من أمه للمدرسة
غيرت النتيجة وألحقته بالمدرسة بلا ترحاب من
ناحيته ولا سرور ؛ ولم تنقطع سيدة عن مجاله
فهى تزور الدار عادة بصحبة أمها ، واعتاد
منظرها أكثر وأكثر ، فباتت دكنتها مألوفة
وتكويرة أنفها عادية ومرحها محبوبا وحديثها
لا يخلو من تسلية ، أما بدرية فلم يكن يراها الا
في النادر جدا من الأوقات ، غالبا بصحبة أبيها ،
يسرق منها نظرة خاطفة ، وتمضى هى جادة أكثر
مما يحتمل عمرها وكأنها لم تقاسمه عامين
أفراح الحياة . وكان لديه من فرص العمل
واللعب ، ما يشغله عنها ولكنه لم يستطع أن

يتحرر من ذكرها ، ولا أن يمحو من ذاكرته
تعلقها الفريد بوجهها الثرى .

★ ★ ★

وبدا متعثرا في دراسته ، تمضى الأيام ولا
يحظى باستحسان واحد ، لا يأنس الى المدرسة ،
ويحن دائما الى الحرية والحديقة . وذات يوم
سمع تلميذا يقول وهو يومئذ اليه :
— ما حاجته الى التعليم وهو أغنى شخص في
الحارة !!

فعجب من اصرار أمه على تعذيبه ، ولم يؤثر
فيه تفوق حمدون الا قليلا ، وكان حمدون يشجعه
على العمل ، ولولا مواظبته على المذاكرة معه
ما أصاب أى قدر من التقدم . وكان يقول له :
— عقلك ممتاز ولكنك كسول .

فتساءل عزت باستهانة :

— أمن المهم أن أكون مجتهدا ! . .

فقالت عين وهى تتابع الحديث باهتمام :

— طبعا ، ما أجمل الناجحين ، العلم من

الايمان وأنت من المؤمنين الصادقين . .

أجل كان محبا للعبادات ومغرما بالحكايات

ولكنه حزن قبل الأوان :

واستطردت أمه باسمه :

— عليك أن تزيد من المذاكرة وأن تزيد من

الطعام . .

فقال حمدون مؤكدا :

— انه نحيف جدا ، في المدرسة يقولون ان والدته تنفق مالها على الفقراء وأن الابن لا يجد ما يأكله !

فضحكت عين وقالت بلهجة متوعدة :

— العلم والطعام ..

فقال حمدون :

— يشغل نفسه بالجنة والنار !

فقال عزت لنفسه بالجنة والنار وبدرية .
وهناك أمه التي تكون نسيج حياته وأحلامه وأفراحه ومخاوفه ! انها الصلة بينه وبين الله ، والصلة بينه وبين الحياة ، هي كل شيء ، وهكذا ينظرون اليها في الحارة . وقد ألف منذ يقظته الأولى ذهابها وايابها ، مسيرتها المكللة بالجلال والحب تحت مظلتها ، اجتماعها بالفقيرات في الحديقة ، وتعلم أن يعتد ذلك عبادة من العبادات الرائعة ، وعلى ضوء ما ترامى لأذنيه من تعليقات على نشاطها الكريم الموفور سواء في المدرسة أم في غيرها مضى ينظر اليها بعين جديدة ، ويقارن وهو لا يدري بينها وبين الأخريات . لم تكن الثرية الوحيدة التي تفعل ذلك ، حتى صدق حمدون وهو يقول له مرة :

— انها أم الحارة وليست أمك وحدك ..

ولكن من العجيب أن هذه القوة النادرة

لا تنفعه في أشياءه الحميمة ، فلا عون ينتظر منها
على دروسه المعقدة ، ولا فرج يأتي على يديها
ليعيده الى جنة بدرية المفقودة ، انها تداوى
القلوب الجريحة وتتركه يعاني وحده ، تتركه
والأعوام تمر والكآبة لا تنقشع .

★ ★ ★

وذات يوم جاءه حمدون متألق البصر خفيف
الحركة ، والسبب مجهول انقبض قلبه وتذكر
بقوة وحزن بدرية المناويشي . جلسا في القرائدة
والسماء تمج رذاذا يغسل الأوراق ويطارد
العصافير ، وراح حمدون يقول بحماس عجيب :
- دنيا .. دنيا لا مثيل لها ..

فصدق اليه متسائلا فقال الآخر :

- أمس اصطحبني زوج خالتي مع بعض
أبنائه الى الكلوب المصرى .
- المقهى !

- بل المسرح ، شاهدت مسرحية من البداية
الى النهاية .

ووصف له تفاصيل الرحلة بكل دقة ،
الدخول ، الجلوس ، الصالة ، الستار ، المسرح ،
الممثلين والممثلات ، الحكاية ، الغناء ، كل شيء .
- هناك تضحك وتطرب وتبكي أحيانا ..

لم يستطع عزت أن يتخيل شيئا ذا بال

صورة الجنة أوضح في مخيلته وكذلك صورة
النار وقال حمدون :

- سوف تراها يوما ما . . . لكننا نستطيع أن
نحاكيها ها هنا ، في هذه الثرانة !
- كيف !

- سأحفظك ما يقال . . .
ودون تردد راح يقتبس المسرحية ، ويخلق
الديكور بالوهم ، ثم قال :
- أنت الآن فتاة تدعى جوليت وأنا فتى
اسمه روميو !

فقطب عزت متسائلا :
- ولم لا يكون العكس ؟
فقال مطاوعا ومتجنباً إثارة غضبه أو عناده :
- ليكن . . .

ودار الحوار القصير كما تخيله حمدون ،
وكان يمثل ما وسعه ذلك ولكنه لم يفلح في حمل
عزت على التمثيل ، تخيل عزت بدرية في دور
جوليت . هذه هي الحكاية . ولكن أين صاحبة
الدور الحقيقي ؟ ! .

وتابعت عين المنظر من شباك حجرتها فلم
تفهم شيئا وقالت لنفسها ان الأطفال يجيئون
الى الدنيا بالأعاجيب ، وتلت آية الكرسي وقلبها
ينضج بالعطف على اليتيم .

★ ★ ★

وتغير حمدون تغيراً ملموساً .. فتنته بالمرح
لم تخمد أبداً .. ملأ بعض وقت فراغه بهواية
جديدة هي القراءة .. بشيء من الصعوبة كان
يقرأ ما تصل إليه يداه من اعلانات ، مجلات ،
قصص بوليسية ، واهتدى أخيراً الى ألف ليلة
وليلة . ومنه تعلق عزت بالقصص البوليسية ،
فلم يقرأ بدافع الحب وحده الا القرآن والقصص
البوليسية ، وقال حمدون :

— ستكون العطلة الصيفية رائعة ، سنمشي
كل حكاية نقرأها ..
فقال عزت :

— لننقل المسرح الى الحارة ..
— فكرة .. هل تضايقت أمك من اللعبة ؟
— أبداً .. ولكن لعلنا نضم إلينا ممثلات !
فضحك حمدون وراح يمسح على حاجبيه
البارزين ويقول :

— فكرة مستحيلة ..
— أليست بدرية جارتك !
— ولكن بيني وبينها جداراً أقوى من جدار
القبو العتيق ..
ولكنه يراها ، ربما كل يوم ، ويستحق لذلك
الحسد .

في ختام العشاء الرابع نجح كلاهما في

الابتدائية • كان النجاح بالقياس الى عزت
معجزة : قدمت لهما الحلوى في الحديقة • في
الثانية عشرة من العمر أعلن حمدون عن رغبته
في أن يصير ممثلا ومؤلفا • ابتسم عزت ولم
يصدق • وقالت عين :

— اختر عملا لا لعبة ...

كان حماسه أقوى مما يتصوران • وسألت
عين وحيدها :
— وأنت ؟

مط بوزه في غير مبالاة • انه يحب شيئين
متنافرين ، العبادة والسيادة • يعتز بأمه
وبداره ، ويهوى فؤاده الوجاهة • لم يكن متكبرا
ولكنه يضمّر أن يكون خليفة أمه • ربما في الدار
والحارة ، أو في الدار وحدها ! • وتمتمت عين :
— أود أن أراك عظيما ...

ولم يدر ما العظمة على وجه الدقة ولكن
فؤاده هفا اليها ...

عهد المدرسة الثانوية كان عهدا جديدا .
 فتحت نوافذ لتيار من المعلومات الجديدة . ثم
 تدفق منها هواء دافئ يفتح الأكمام وينضج
 الحنايا ، ونبت شخص جديد في حنايا عزت . .
 وحمدون أيضا . . فانقسمت أرنبه أنفه ، وغلظ
 صوته ، وتقلقل بالأشواق المبهمة . وترحمت
 عين على عم عبد الباقي وقالت انه يحاكيه رغم
 أنه لم يعرفه . وقالت انه من الآن فصاعدا
 ستهب النسائم محملة بالعبير والمخاوف . في
 ذلك العهد صار حمدون قارئاً لإريب فيه ، متنوع
 القراءات منقبا عن أى كلمة ذات علاقة بالمسرح ،
 وانغمس عزت . . في أوقات فراغه - في قراءة
 القرآن والقصص البوليسية .

وكاد يعتاد السلوان عن بدرية لولا لقاء عابر
 غزاه بقوة من جديد . كان يمضى لدى الغروب
 في العطفة نحو بيت حمدون وكانت بدرية تعبر
 العطفة نحو بيت مقابل . تشجعت بقرب المسافة
 وغياب الأب فخرجت في الفستان سافرة ، شبه
 أنثى ناضجة بوجه أكثر ثراء ونقاء ، وقامة
 ممشوقة ، وضفيرتين مرسلتين حتى نهاية

الظهر • كادا يتلاقيان في نقطة واحدة تحت مظلة
الغروب ، تبادلنا نظرة باسمة بالذكريات المشتركة
عامرة بالموودة وسرعان ما همس :
- أهلا ..

فهمست في حياء :
- أهلا ..

وأسرعت في مشيتها متعثرة بالخطأ ، فواحة
بالشباب المبكر • وتوقف تحت بيت ست رمانة
والغيب يقتحمه بعمق فيتحول رويدا الى شبح •
أراد الوقوف ليثوب الى رشده ويسترد توازنه
وتنقذ أواصره بما حوله من جديد • أدرك
بوجدان جديد أنه قضى عليه بأن يحب بدرية الى
الأبد • وتبدى له الحب كالحياة نفسها في جاذبيته
واستبداده • وتخلى عنه احساسه العميق
بالسيادة فشعر بأنه وحيد • ولم يكن يحب
المكث طويلا في بيت حمدون لاكتظاظه بأهله
فسرعان ما غادراه معا • مضيا نحو الكلوب
المصرى ، وفي الطريق قال عزت ليروح عن نفسه :
- رأيت بدرية وأنا ذاهب اليك •

فتمتم حمدون :

- كثيرا ما أراها ..

فاستسلم لدفقة داخلية قائلا :

- انى أحبها ..

فقال حمدون ضاحكا :

— مثلك تماما !
— تساءل عزت بانزعاج :
— تحبها أيضا ؟
— أكنت تتوقع أن أكرمها ؟
— كلا طبعاً .. ولكنى أعنى بالحب شيئاً
آخر .

فقال الآخر بهدوء :
— ليس بهذا المعنى .
— أصدقنى القول !
— متى عرفتني كاذباً ؟
ارتاح نوعاً ما ولكن قلبه لم يعرف اليقين ،
وهو لم يرغب فى شيء ويمتنع عليه باستثناء عالم
البنات . لكن اليوم غير الأمس . انه يحلق ذقنه
صباحاً بعد صباح . ربما ليعجل طلوع شعره
بيد أنه لا يدرى كيف يبلغ رسالة حبه فى حارته
ذات القضبان العتيقة . اذا رفع رأسه ارتفعت
معه مائة رأس متسائلة مستريية ، وما زال
يرفل فى غشاء الحياء والتقوى الذى نسجته يد
أمه بأصابعها الطويلة الناصعة . والسهو عذر
ولكنه لا يخلو من الحساب العسير وأين المفر من
عين الله الساهرة ؟ !

وقد صار من المترددين على المسرح باغراء
حمدون المتواصل . ويات حمدون يحلم بالتأليف
ويحاوله سرا فلا يطلع عليه أحدا الا عزت . وكم

ود لو يغير مجرى حياته ولكنه استمر في التعليم
بهدف الاستقرار في وظيفة • عزت يواصل التعليم
بدافع الكبرياء وارضاء لأمه •

★ ★ ★

ولم تغفل الأم عما يغلي في داخله • • أشفقت
من أن يزل ، من أن يعصى الله جل جلاله ، ورفضت
أن تهرب من تحمل مسئوليتها ، أو أن تتركه
وحده في مواجهة الشيطان ، وتتشجع بالظلمة في
الحديقة وهي تجالسه في أمسية من أماسي الربيع
فتقول له :

— أن لي أن أعاملك كرجل • •

فضحك ضحكة مقتضبة • أما هي ففكرت
بشقيقتها أمونة • • أرادت أن تصالحها كثيرا • •
أرسلت إليها أم سيدة • • زارتها بنفسها •
أرجعتها الى زياراتها السابقة ولكن أمونة ظلت
متحفظة • • عزمت عين على أن تصالحها بطريقة
عملية • • قالت :

— عزت • • من أصول التقوى أن نصون
أنفسنا بالزواج • •

أضاعت لفظة الزواج الخميعة فتبدت بدرية
متورة ، وتمتم عزت بدهشة :

— الزواج !

— نعم • • انك رجل !

— لم أحصل بعد على البكالوريا • •

— انهم يتزوجون بلا شهادة •
فتساءل عزت ضاحكا :
— هل تستعينين بأُم سيدة ؟
— بل عندنا العروس ، احسان بنت خالتك ••
احسان جميلة ، تميل الى الامتلاء أكثر مما
ينبغي مما ينذر بأنها ستكون في حكم خالته أمونة ،
وهو لم يشعر نحوها بأي ميل حقيقى • قال
بوضوح :
— لا ••

فتساءلت باستياء :
— لماذا يا حضرة ؟ •• البنت كاملة ••
— ربما ولكن لا حيلة لنا في ذلك •
فسأله بأسف :
— ألا تعيننى على استرضاء أختى ؟
— ليس عن هذا السبيل •
— هل تكره فكرة الزواج الآن ؟
فقال بصراحة :
— الحق أنى لا أكرهها ••
فتساءلت باهتمام :
— هل عينك على عروس أخرى ؟
— نعم •
فقالت بقلق :
— تحدثت أمور من وراء ظهرى ، لم لم
تصارحنى من أول يوم ؟ من ؟

— بدرية المناويشى ..
أخذت لحظات فانداح الصمت ثم قالت بنبرة
أسفة :

- لا ..
- لا ؟ ! .. ألا تعجبك ؟
- أمها مزواجة ..
- انى أتحدث عن البنت لا عن أمها .
- البنت لأمها !
- حكم غير معقول ..
- لا خلاف عليه .
- لا أصدق ذلك !
- أمك لا تخطيء أبدا ..
- فقال بشيء من الحدة :
- دعينى أجرب حظى ..
- فقالت بتوسل :
- لا تستهن برأى أمك .
- فقال بضيق :
- لا أستطيع أن أستهن كذلك برغبتى ..
- انى شديدة الرغبة فى تزويجك ولكنى
حريصة على سعادتك .
- فقال بقوة :
- لن أتزوج الا بمحض رغبتى الخاصة ..
- فتأومت قائلة :

— هذا صوت جديد يا عزت ، أنت طبعاً حر ،
ولكنى غير راضية ..

انقبض قلبه ، لم يهن عليه اغصابها ، وهل
يستطيع أن يخطو خطوة بغير رضاها ؟ قال :
— لولاك ما فكرت فى الزواج الآن قط ..

لم تنبس . ثقل عليه صمتها . أخذ يتعذب من
الداخل . قال بحسم :

— لذنس ما دار بيننا من حديث ..
لبث وحده فى الحديقة يعد ذهابها ، شعر بأنها
ما زالت قائمة فى مكانها . أحس غضباً قاسياً
يجتاحه نحوها . كان أشبه بالكراهية . غير أنها
كراهية عابرة . سرعان ما أخلت موقعها لأسر
الحب وذلله . لكنه استطاع أن يراها بعين ناقدة
كأنما استعارها من زفرات الصراصير . انها
تتحول اذا شاءت الى صخرة صلبة وينضب
معين الرحمة من قلبها . هذه المرأة العجيبة التى
تؤاخذ الفقراء وتتصدق القطط وتتأصب ابنها
الغداء . وكم خوفته من الشياطين وها هو أسمع
شيطان يتجسد فى عنادها !

★ ★ ★

وقالت عين وهى تتنهد فى حزن بالغ ان الولد
عنيد . عنيد مثل أبيه ومثل أمه أيضاً . وصممت
ألا تبيعه وهو جوهرة حياتها . هو أيضاً أحرق
مثل أبيه . ولولا أن عم عبد الباقي أذعن فى

النهاية الى مشيئتها لضباع مثل ذرة غبار ، أجل
انه يحب البنت ، والبنت جميلة حقاً ، ولكن
ما قيمة الحب المترع بالضلال ؟ . والحب يحرره
الزواج وعند ذلك لا يجد بين يديه الا امرأة تحلم
برجل آخر . هكذا عاشت أمها متنقلة من رجل
الى آخر . انى مسئولة عنه اليوم ، غدا يستقل
عنى ويرتكب حماقاته .

واستدعت أم سيدة وسألتها بجفاء :

— ماذا تعرفين عن عزت وبدرية ؟

فذهلت المرأة وتساءلت بدورها :

— ماذا عن عزت وبدرية ؟

فهمت بتحذير :

— اياك والمكر .

— معاذ الله .

— ماذا تعرفين اذن ؟ . .

— أستغفر الله العظيم .

— لا يتحرك قلب فى حارتنا الا وأنت معه فى

نبضه !

فقالت بحرارة :

— لا تهمنى الاشاعات . .

— تهمنى أنا . .

فنفخت أم سيدة وقالت بصوت منخفض :

— يتحدثون عن حب ، انهم كما تعلمين

يصنعون من الحبة قبة . .

- يتحدثون عن حبه لها ؟
- أجل ..
- وماذا يقولون عنها ؟
- لا شيء ، أنت تعرفين أباها ..
- وكيف يثبون صدق رأيهم ؟
- كلام فارغ ، لا يقوم على أساس ، نظرة عابرة مثلا ..
- فقالت بأسى :
- قد يقود ذلك الى فضائح ، اصدقيني يا أم سيدة ، هل تقابلا ولو مرة واحدة ؟
- أستغفر الله .. البنت تعيش في ظل أب صارم .
- هل عرفت أمها ؟
- طبعاً .
- ما رأيك فيها ؟
- ليس بالرأى الحسن ..
- هل علمت بما يشاع عن ابني ؟
- لا أستبعد ذلك ..
- والأب ؟
- مستحيل .
- هل حدثتك أم بدرية بهذا الشأن ؟
- كلا ، ولكنها طلبت مني البحث عن عريس مناسب ، وألمحت الى سى عزت وعلاقتي الوثيقة بوالدته ، ولما كنت على علم برأيك فيها فقد

اعتذرت بحجة أن سى عزت ما زال دون سن
الزواج .

واقترحت حمادة الافندى . .

— وماذا كان رأيها ؟

— لم يملأ عينيها . .

فقالت عين ساخرة :

— طبعاً ، ما دامت تحلم بالعلالى . .

ورمتها بنظرة قاسية أخجلت عينيها وقالت :

— وأخفيت عنى ذلك كله . .

فقالت بحرارة :

— لم أشأ أن أغضبك بكلام يجىء من ناحية

أم بدرية . .

فمالت نحوها متجهمة وقالت :

— ولكنك لن تخفى عنى كبيرة أو صغيرة

تخص هذا الموضوع ؟

فقالت وهى تتنفس بارتياح لأول مرة :

— أعاهدك مع ذلك والله شهيد . .

ولما غادرتها أم سيدة أفرغت قلقها فى بركة

فراحت تهددها وتهمس لها :

— انى أتعذب يا بركة فادعى لى بالسلام . .

مضى الحب ينمو ويتضخم مثل شجرة بلخ .
 وكان يسلى همه بالمرح ولكنه يغرق وقت فراغه
 فى القصص البوليسية ، وكلما طالعه حمدون
 بوجهه القوى المشرق توجس خيفة غامضة ،
 وغبطه على تقدمه وعبادته لهدفه . وردد عزت
 حكاية حبه كثيرا فكان حمدون يشاركة همه
 بحرارة الصديق المحب ، قال له مرة :

— يخيلى الى أن والدتك تسيء الظن بالحب .
 فقال عزت :

— انها تسيء الظن بأى البنت وهذا ظلم . .
 — الحب أيضا متهم فى حارتنا . .
 — قصص الجريمة أجمل من الواقع !
 — أجل أجمل من واقع بلادنا .

وراح يتحدث عن الاستعباد . وكان يهتم
 بذلك ، ويتزايد اهتمامه بتقدمه فى العمر . ولم
 يخل حديثه من عبارات مملوءة . ولم تحرك هذه
 الشئون قلب عزت بجدية مثل صاحبه ولكنه قال :
 — بوسعنا أن نقاوم الاستعباد ولكن كيف
 نتصرف مع أم مثل أمى ؟

فقال حمدون :

— ومع ذلك فلا ينكر أحد جمال ابنة خالتك !
فحنق عليه وثارت مخاوفه الغامضة من
جديد .

★ ★ ★

وحصلا على البكالوريا في عام واحد . وهنأته
عين ووجهها يطفح بالبشر ولكنه قال لها :
— لا . . انتهى الحب بيننا !
فلم تأخذ قوله مأخذ الجد وقالت مازحة :
— أتدرى ما عدد البنات اللاتي يحلمن
بالزواج منك ؟

— ولكنى أريد واحدة فقط .
— ما تريدها الا لأننى لا أريدها .
— بل كأنك ما ترفضينها الا لأننى أريدها . .
— أتحب أن أروى لك نواذر أمها ؟
— أمها لا تهمنى ألبتة . .
— انها كامنة فى أعماقها . .
— هبى أنه زواج خائب فهل أعجز عن الطلاق ؟
— والخيبة ؟ . . أظننها تمر بلا عواقب ؟

★ ★ ★

فى أثناء الصيف اختار عزت أن يلتحق بمدرسة
الحقوق . أما حمدون فعزم على أن يتوظف ليخفف
عن خالته من ناحية ويهب بقية يومه للمسرح .
وفى ذلك الوقت عرف أن عبد الحميد الكومى
خطب بدرية وأن إلفاتحة قد قرئت . اقتلع الخبر

قلبا - وربما أكثر - من جذوره ، وتبدت الحقيقة
لعيني عزت صفراء تنفث ريحا سامة • أكان
يعتمد على سحر الحب الكامن وحده ؟ هل تصور
أنه - سحر الحب - قادر على حفظ حبيبته لحين
قدرته على الخروج من سلبيته ؟ • وهتف بأمه
ثقة منه في قوتها غير المحدودة :

- اصنعى شيئا ••

فتساءلت بجزع :

- أتريد أن تخطف بنتا من رجلها ؟

- أنت الذى مكنته من خطفها !

فتمتت بحنان :

- الخيرة فيما اختار الله •

ورماها بنظرة حزنت لها ومضى • ووجد

حمدون جياشا بالانفعال • وقال عزت :

- انى أحترق وكان ينبغى أن أحرق ••

فتساءل حمدون :

- هل انتهى الأمر ؟

واصطحبه الى والد بدرية ، ورجاه أن يبقيا

على ذمته حتى يستقل بنفسه ، فقال الأب :

- لقد قرأنا الفاتحة ، وكان بوسع والدتك أن

تتكلم لو توفرت لها الرغبة ••

فقال حمدون :

- هو الذى يرغب ••

فقال الرجل :

- انى رجل مستقيم لا أتعامل بالحيل !

★ ★ ★

عرف عزت الوحدة وهو منغمس فى خضم
الناس . حزن حزن القوى عندما يغلب على
أمره . . أدرك أن جاهه زائف وأنه يستمد نوره
من أمه . انه فى الواقع حقير فقير عاجز . أعماه
الغضب حتى فقد الرشيد . تفجرت منه قوة
حطمت رأس أمه ، انها قوة شريرة تتهادى فى
رداء ملاك ، قتلها سبع مرات كل مرة بأداة
خاصة . وماتت حتف أنفها مرات أخر ، لو كان
فى قوة حمدون لغامر مغامرة فريدة مرحبا
بالصعلكة . لكنه أسير الحديقة والوسائد
الناعمة وتلك القوة الغامضة المجهولة . ولشدة
ارتباطه بالحياة فقد الحياة الباهرة . انه وفى
للأسر ليشدو أغانى العذاب ، وستجلو بدرية
عن مجال أمله بعد أن أرسى فيه طابعا
لا يبيد . وكتب عليه أن ينتظر أملا لا يعود وأن
يبحث عن كائن ليس له وجود . واللعنة على
الكبرياء التى يلقتها غر فى مهد عبودية .

★ ★ ★

وفى حومة النضال العقيم تلقى من حمدون
رسالة . ألم يجتمع به أمس وكل يوم !!
عزيزى عزت . .

عليك أن تفهمنى باسم صداقة العمر • انها
صداقة حقيقية متينة ونقية • اياك أن تسيء بى
الظن • لقد وطنت النفس على التضحية تحت
شرط أن تفعل أنت شيئاً • لكنك أعلنت عجزك
وسلمت بالواقع • عند ذاك قررت أنه من حفى
أن أعمل • انى مثلك فى الحب ولكنى لا أتركها
تذهب مع الكومى • سنهرب معا لنتزوج بعيدا
عن الأهل والحارة • معى مال قليل من ثمن
الأرض سأعتمد عليه حتى ألحق بالوظيفة • لن
أتخلى عنها كما لن أتخلى عن المسرح • وستبقى
صداقتك معى وذكرياتها الجميلة • لا تسيء بى
الظن وتقبل تحياتى • «

حمدون عجرة

قرأها مرات قبل أن يسيطر على معانيها •
وقتل حمدون مرات - أكثر من أمه - قبل أن يفهم
موقفه • شد ما أخفى عنه حبه • حقا انه لمثل
ماكر • لم يغفر له رغم أنه لم يتهمه • ربما كان
يسخر منه • ربما كان من الأفضل أن يأخذها
الكومى • اعتاد أن تنفذ رغباته قبل أن يجهر بها
فماذا جرى من وراء ظهره • غصت الدنيا
بالمجرمين أمثال عين وحمدون وبدرية • أصبح
القتل لا يجدى • أقطع من ذلك أن تغرورق العينان
بالدموع • أن تعمق صفرة الحديقة وتموت

العصافير • أن يمسي بلا حبيبة وبلا صديق
وبلا أم •

وانتشرت حكاية الهرب في الحارة كالغبار في
يوم عاصف • لفحته العاصفة باعتباره بطلها
المهزوم • احترق والد بدرية وأمها وست رمانة
خالة حمدون • اشتعلت خصومات • سجلت
الشائعات للحادث حكاية فاضحة متكاملة •
طلقت أم بدرية في أثر شجار عنيف •

وكان يجلس في الخميلة في أصيل قائظ عندما
رأى ظل أمه يفرش الأرض أمامه بين الشجوح
والجدول • اقتربت وهي تقول :

— لم نتبادل كلمة منذ أيام ، انه الجحيم • •
رأى وجهها متهدلا وخامدا ، وقد حلت نظيرة
خابية في مكان الألق البهيج • لم يعطف عليها
وحول عينيه عنها • همست وهي تجلس :
— يجب أن تعرفنى أكثر • •

فانتقم منها بالتمادي في الصمت فقالت :
— أن لى أن أعترف لك بأشياء • •
في الصمت ارتفع نقيق الضفادع وزقزقة
العصافير • واصلت الحديث :

— اهتممت بمعرفة كل شيء ، فكرت في الازعان
لمشيئتك ، فجاءتنى معلومات غير متوقعة • •
أنصت باهتمام ولكنه لم ينبس •

— كان ثمة حب متبادل بينها وبين حمدون ،
ذاك أمر الله ولا لوم على أحد ..
فهتف وهو لا يدرى :

— كان يخدعنى !

— أبدا ، انه فتى أمين ، لم يكن فى موقف سعيد ،
لا أدرى ماذا كان يدور فى ذهنه ، ولكنه على أى
حال لم يخطيء فى حقك ..
وتنهدت بعمق واستطردت :

— اضطررت الى الاصرار على الرفض ولم أر
خيرا فى كشف الحقيقة ..
قربت وجهها المحزون منه حتى لثمت جبينه ،
وقالت :

— لا تستسلم للحزن ، الحياة أقوى من كل
شئ ، سيجيئك السلوان بأسرع مما تقدر ،
وستجد من هى خير منها ..

عند ذاك جاءت أم سيدة تتقدمها نحنة فظة .
غادر المكان والمغيب يستقل ، وفى الممر التقى
بسيدة قادمة لتلق بأُمها . تصافحا . وفجأة
اشتعل بلا تمهيد ولا مقدمات ، وبلا سبب فى
الظاهر . أخذ بما اجتاحه . لم يترك يدها .
مضى الى الداخل جانبا يدها معه . أذعنت بلا
مقاومة تذكر متشجعة بالظلمة . لم ينبس
بكلمة ، ضمها اليه ، شملها ذهول أخرس .
أطاع قدرا جامحا وغامضا وبلا أدنى تفكير فى

العواقب وكأنه يعيث في الظلام وحده بلا شريك •
وتفشي في الوحدة المطلقة اذعان ذليل ورغبة
دقيقة وذكرى أسرة • وحفرت في لوحة الليل
السوداء نقوش لا تمحي ..

٨

لم يعد الحب هو المحتل الوحيد للمكان •
زاحمه قدر جديد هو الخوف • وتناسى الحب
أحيانا ليرامق الشبح الجديد • وهو شبح ثابت
لا يتزعزع ولا يهن بمرور الزمن • ومن الأخطاء
خطأ لا ينسى يطارد ويطالب بحل • وسيدة في
ذاتها لا شيء ولكنها بسبب الخطأ صارت كل
شيء • انها الآن تستكن في ركن من الوجود
ضئيلة لا ترى غائصة في ضعفها ولكن صوتها
يدوى مثل صرار الليل • لقد مات أبوها من دهر،
أخوها الأكبر في السجن والأصغر مهاجر • أمها
ربيبية نعمة أمه ولكن الخطأ قوض بناء وأقام
محلها بناء جديدا • ما العمل ؟ • ما اعتادت
أعماقه أن تقترح حلولاً ولكنها دأبت على القتل •
ونظرة سيدة التي ترمقه بها عند اللقاء العابر
راسخة في خياله • مفعمة بالدلالات المشتركة ،
ذليلة وجلة يائسة تؤكد له أن ما كان لا يمكن أن

يمضى كأن لم يكن • انهسا حزنه الخفى حين
يتجسد ، وأحيانا تند عنها اشارة خفية تحكى
مأساة متكاملة ، استغاثة حارة صامته ،
تستوهب احسانا أو رحمة كآخر انتفاضة
للضفدع قبل أن تسلم الروح • ما العمل ؟
وتذكر وهو كاره حمدون • لماذا ؟ • ربما
لثرثرته الملحة عن الأقوياء والضعفاء ، لأرائه
التي يريد أن يصلح بها الكون •

وكان يقرأ فصلا في رواية بوليسية عندما خيل
اليه أن صوت أمه يحتدم في الحديقة • نظر من
نافذته فرأى المرأتين - أمه وأم سيدة -
تسترسلان في حديث ما • داخلته كآبة مثل جو
المغيب المخيم • سيحدث ذات يوم أمر ما • انه
يتوقعه كما يتوقع مريض الفم ضربان خرسه •

★ ★ ★

وسمع خطوات أمه قادمة فلعن مخاوفه وعرق
من الخوف الى التصدى • جلست على ديوان
يتوسط الحجرة بوجه شاحب • أرعشت بيدها
مروحة عاجية بحركة عصبية فوردت ذهنه فكرة
غريبة بأن معجزة أمه ستتخطم على يديه • وقالت
عين بصوت متهدج :

- ماذا ينقص هذا البيت ؟

وتريثت قليلا ثم أجابت نفسها :

- يتلى فيه القرآن ، يعبقه البخور ، ترعاه

الحسنات والنوايا الطيبة ، فكيف يندس الشيطان
في أركانه ؟!

آه .. لقد وقعت الواقعة .. وعليه أن يتظاهر
بمواصلة القراءة .

وتساءلت عين بأسى :

— ألم تشعر بوجودى بعد ؟

فتساءل ببلاهة :

— ماذا ؟

— ألا تخمن ما ورائى من حزن ؟

أغلق الكتاب ونظر الى تهاويل السجادة
الفارسية في استسلام .

— ما هذا الذى كاشفتنى به أم سيدة ؟

فشحب وجهه ولم ينبس . تأوّهت قائلة :

— لم أعذبك ؟ .. لا معنى للتأنيب بعد فوات

الوقت ..

رأى بوضوح — ربما لأول مرة — مبخرة
فضية محمولة بساقين من النحاس تستقر أسفل
ستارة أرجوانية .

— اسمع يا بنى ، لست أول شخص يعيث به
الشيطان ، وما يهم حقا هو تصرفنا بأزاء
ما نرتكب من أخطاء ..

وتنهدت بصوت مسموع وقالت :

— نحن أغنياء ولكن لا قيمة لذلك ، وانما

قيمة الانسان تتحدد في علاقته بربه ، غير أننا
نحاسب على قدر قوتنا ..

وجد نفسه ينزلق في طريق وحيد مسدود .
واستطردت عين :

— قد نخطيء ولكن لا يجوز أن نظلم ، علينا
أن نصلح خطأنا ، وكلما جاء للإصلاح على غير
هوانا اقتربنا أكثر من عفو ربنا ..
ورفعت رأسها كأنما ترنو الى القنديل وقالت
بحزم :

— ستتزوج من سيدة في أقرب فرصة ..
ثم نهضت وهي تقول :
— انه قرار لا يقبل المناقشة ، وما يشهد لك
بالطيبة أن ترحب به ..

★ ★ ★

وتلاحقت الأحداث كأنما تقع لشخص آخر ..
وذاع الخبر في الحارة فأحدث دهشة عامة ، كما
صعق بيوت العرائس المرشحات لجمالهن
وأصلهن لمثل هذا العريس الفريد . وكيف ترفض
الست عين بدرية المناويشي لتقبل سيدة بنت أم
سيدة الخاطبة ؟ . أيرجع السر الى مهارة أم
سيدة ؟ . أيجد تفسيره في شذونه طراً على ذوق
عزت ؟ . وكالعادة تمطى التأويل السيئ لينفث
ظنونه فأصاب الحقيقة هذه المرة بمحض
الصدفة . هكذا تزوج عزت وهو في الثامنة عشرة

من عمره زواجا مناقضا لذوقه وميوله . وهكذا
انتقلت سيدة الى أجمل دار في الحارة لتحتل أرفع
مكان فيها . هكذا صارت أم سيدة حماة الوجيه
الأول . وثارت أمونة بثورة حاكمة فقطعت
علاقتها بشقيقتها الى الأبد . واستسلم عزت في
الواقع كما يستسلم الى قدر لا مفر منه . أجل لم
يعتده قضاء نهائيا ، ولكن حلا ضروريا مؤقتا
حتى يتخلص منه في الوقت المناسب . وتضاعفت
أشجانه على حبه الضائع فاعتبر المحنة كلها
جزاء عادلا يستحقه لضعفه وتردده . ومن أول
لحظة أدركت سيدة أنها لا تحظى بحب زوجها
ولا حتى برضاه . وأنها تتجرع حياة باردة ،
حيوانية مجردة ، لا عطف فيها ولا احترام .
وبدافع من غريزة الدفاع عن النفس انطوت
تحت جناح عين ، فوهبتها من قلب محروم خريج
كامل الولاء والوفاء . وأوصتها أمها بالصبر
والتزام الأدب . قالت لها :

— لك رب فليكن اعتمادك عليه وحده . .

فقالت لها الفتاة :

— أفضل أن أرجع الى بيتي . .

فقالت المرأة باصرار :

— لا تفرطى في النعمة ، واعلمى أن الرجال

لا يثبتون على حال ، وما الحياة الزوجية الا
معركة . .

وفي ذلك الجو الشحيح بأى عنوبة حملت
سيدة ، ثم أنجبت « سمير » . أصبحت أما ،
أصبح عزت أبا ، أصبحت عين جدة ، فحتى في
أسوأ الظروف استطاعت أن تغير أبعاد كونها
الصغير ، وأن تفجر فيه من ينابيع العواطف
الجديدة ما لا عهد له به . تحرك قلب عزت .
جاءه حب جديد ليزاحم حبه القديم الذى اعتاد
ألمه حتى ألفه . أما عين فجنت بالوليد وعشقتة ،
وطمح قلب سيدة الكسير الى حياة أفضل .

وخاب عزت في دراسته القانونية ، لا الهمة
وجد ولا الحماس ، فانقطع عن المدرسة بعد
عامين من التحاقه بها . وضاق بحياة بلا حب
ولا صداقة فعزم على التوظف . أراد أن يظفر
بقدر من الاستقلال ، وأن يملأ فراغه ، وأن يجرب
الحياة الرسمية التى تفتن الكثيرين .

والتحق بوظيفة بوزارة المعارف . وسرعان
ما نشب التنافر بينه وبين الوظيفة ومناخها
العدوانى . ونصحته أمه بأن يدعو موظفى
ادارته الى وليمة فى الدار تعزiza لمركزه ودقعا
لمكر الماكزين . ومضى عليه شهر فى العمل .
ولدى عودته سألتة أمه :

— ألم تحدد يوما للوليمة ؟

فاجابها بهدوء :

- قامت معركة بينى وبين رئيسى ..
- فحدجته باهتمام فقال :
- قدمت استقالتي ..
- وأغرق في الضحك .

٩

يقول الراوى :

و يمر عام فى أعقاب عام • يغوص حبه القديم
 فى غلاف من السكينة والفتور • وتظل علاقته
 بسيدة ياردة فى مشاعرها ، خشنة فى معاملاتها ،
 لا تند عنه كلمة طيبة ، ولا يتردد عن الاساءة
 اليها لأقل هفوة ، وأحيانا بلا سبب ، وكان يمضى
 بسمير بعيدا عنها ليمارس حريته فى ملاعبته
 وتقيله • وضاق بحياته بعد غياب بدرية
 وحمدون ، ولم تكف القصص البوليسية للـ
 الفراغ ، فانزلق الى غرزة يسلى بها همه • ومن
 ثم عرف أين يقضى ليلته حتى مطلع الفجر ، وأن
 يهرب بالنوم حتى الظهيرة • وتابعت عين نظام
 حياته الجديد بقلق ، وكانت تقول له :

— نحن الذين نصنع سعادتنا بأيدينا •

وحنق عليها لسعادتها الدائمة • انها تمضى
 كالنحلة تمج رحيق الاحسان والحب • تتوغل فى

الحلقة السابعة بحصانة تامة ضد أعراض
الشيخوخة ، تتجول بلا انقطاع ، تحظى بالنشاط
والرشاقة والفرحة المتألقة . وكأنما تقصد
تعذيبه وهى تقول :

— يا بنى تعامل مع زوجك بالرحمة ، انها
امراة نادرة المثال فى صبرها وأدبها . .

لقد ساءه أن تثبت له براءتها فى موقفها من
بدرية ، انه نهم الى ادانتها . ويذكر لها موقفها
المتعنت من حبه قبل أن تعرف ما بين بدرية
وحمدون من حب . انها مدانة على أى حال .
وهو ممزق بين حبها وكراهيتها ، يحلم أحيانا
بموتها . ولكن كيف يمكن أن تموت هذه المرأة
البارعة ؟ . سوف يسبقها الى القبر . سيعيش فى
أسرها عمره كله . انها تستمد من المجهول قوة
خارقة . ولكن هل يتحمل الحياة بغير شعوره
الباطنى بوجودها فى مكان ما فى الدار أو الحارة ؟!
وتكرر حثه على معاملة سيدة بالحسنى
فيتساءل ما الذى جعله يبقى عليها طيلة الأعوام
الماضية ؟

الحق أنه لا يحبها ولا يريد لها . من أجل
سمير ؟ . أم أنه الضعف الأبدى الذى يمنعه من
العمل ؟ . وقال لعين ردا على توسلاتها :

— أن لى أن أطلقها . .

فبسطت يديها نحو السماء متممة :

- اللهم جنبه قسوة الحيوان ..
- اننى لا أحبها ..
- الرحمة أولى بمن لا تحب .
- المسألة أنك سعيدة أما أنا فرجل تعيس ..
- فقبضت على يده بشدة وتوسلت قائلة :
- لا تفكر فى الطلاق ، حتى لو رأيت أن تتزوج
- من أخرى ..
- ما معنى أن يجيء بامرأة أخرى بلا حب ؟ .
- عين امرأة سعيدة ، والسعداء لا يرون
- الحقيقة .
- انها تبعثر الثروة والعمر يمضى .. قال لها :
- انك تنفقين بلا حساب ..
- الحمد لله .
- ولكنه مالى أيضا !
- حد علمى أنه مال الله سبحانه وتعالى .
- فتساءل ضاحكا :
- ألم تسمعى عن أبناء يقتلون أمهاتهم ؟
- فأجابته ضاحكة أيضا :
- ولكنى أعلم أنك تحببنى ، وأنتك ستملا قبرى
- بدموعك فيسبح فوقها جثمانى ..

★ ★ ★

- وانتهزت سيدة فرصة هدوء يمر بلا نقار
- فقالته :
- ان ما ينقصك حقا هو العمل ..

فتساءل بسخرية :
- أعمل خاطبة ؟
فتجاهلت غمزته وقالت :
- أنشئ عملا مناسبا ، لن تضن عليك والدتك
برأس المال .
غزته الفكرة ، كره أن تجيئه من سيده ولكنها
غزته . تتم بسخرية :
- عجيب أن تخرج منك فكرة طيبة . .
قالت وهي تتنهد :
- جرب وربنا معك .
انه في حاجة الى العمل والاستقلال ، ولكن من
أين يجيء بالخبرة ؟ . أين اللعين حمدون ؟ . لم
يحسن في حياته سوى قراءة قصص الجريمة
وتدخين الكيف في الغرزة . ها هو حلم جديد
يبرز في حياته القاحلة . .

١٠

لم يعقب اقتراح سيده فعل . حلم بالمشروع
وبرم أكثر بالحياة . لم يجد في الحياة جديدا
سوى أنه اعتاد عادة جديدة هي الاكثار من
الطعام بتأثير من الكيف ومعالجة للضجر .
ولأول مرة يفقد رشاقتة ويميل قليلا الى البدانة .

فى ذاك الوقت نسى حبه القديم أو كاد ، وانطبع
بطابع بلادة غاشية ، حتى العبادات مارسها بلا
شعور وبلا حماس • ولم يجد أمامه الا سيدة
فحملها مسئولية تدهوره • وتمردت الفتاة فجأة
على وضعها فهرعت الى عين وهى متدثرة بعباءة
وراء النافذة تشاهد من وراء الزجاج مطرا
ينهل فوق الحديقة فيغسل الأوراق ويملا
القنوات ، بثتها شكاتها وقالت وهى تجهش فى
البكاء :

- يجب أن أرجع الى أمى ••
- فلم تسترد عينيها من الماء والشجر ممتصة
ثورتها بهدوء شامل ، ثم تساءلت :
- ألك أم غيرى ؟
- فهمست بأسى :
- أنت أم الجميع ولكننى معذبة ••
- وتساءلت عين وهى تلتفت نحوها بحنان :
- أما زلت على جهلك بالرجال ؟
- ثم وهى تقرصها بعطف فى خدها :
- انهم يحتاجون الى تربية متواصلة تمتد من
المهد الى اللحد ، وهذه هى مهمتنا ••
- وهمت الأخرى بالكلام فأسكتتها بإشارة
وواصلت :
- المرأة التى تهجر بيتها جاهلة لا تستحق

نعممة الأمومة ، ماذا غيرك بعد أن آمنت بأنك
أعقل الستات طرا ؟

— حتى متى أتحمل الإهانة ؟!

— انه يهيننى بأفعاله أكثر مما يهينك بأقواله
فهل أهجره بدورى ؟

— ولكن ..

فقاطعتها :

— حذار أن تعرضى الأمير الصغير للمتاعب .

★ ★ ★

وكان يسترق النظر الى الفتيات اللاتي حلمن
ذات يوم بالزواج منه . انهن يرحن ويغدين في
الحارة محصنات بالزواج والاستقامة . أى
واحدة منهن تفضل سيدة جمالا . وأى واحدة
كانت خليقة بأن تخلق الحب خلقا اذا لم يتوغل
في البداية . وكان يعاشرهن في الخيال وقد وهنت
روادعه بوهن عباداته . ومن بينهن « اعتدال »
عرفت بشيء من المرح فتشجع ذات مرة الى توجيه
تحية هامسة اليها ، لكنه قوبل بتجهم خشن .
وكان للخطأ عواقبه ففاجأه الشيخ سلام الدروى
ناظر المدرسة الأولية بالانقضاخ عليه في
الغرزة ، وعلى مرأى من الجالسين بصق على
وجهه وهو يصيح به :

— يا نذل .. يا جبان ..

وتفشيت الفضيحة وعرفت تفاصيلها . اعتذر

قوم بأنها لم تكن الا تحية بريئة ندت عنه ببراءة
وفي حال من السهو ، واستنكرتها الأغلبية ولكنها
لم تنف عنه حسن النية . وتشابك الشيخ والفتى
حتى خلص الآخرون بينهما . ورجع عزت الى
داره بشقة متورمة .

لأول مرة ينصب لوم على شيء ينتمى الى الست
عين . وتوارت سيدة عن الأعين لتبكي وحدها .
أما عين فوقفت أمام عزت وقفة عسكرية وقالت :
- اصدقني هل عبث بك الشيطان ؟
فقال بحرارة كاذبة :

- كلا . . . وأقسم لك على ذلك . .
فقالت وهي تتنهد بارتياح :
- انى أصدقك . . ولكنك أخطأت . .

واستدعت الشيخ الدروى فأكرمه غاية
الاکرام وأكدت له براءة ابنها . واستبقيته للغداء
فصالحت بينه وبين عزت ، ولم يسكن خاطرها
حتى اطمأنت الى أن سحابة الكدر قد تلاشت
تماما .

لكنها لم تتلاش من سماء عزت ، هو وحده
يعلم بكذبه ونفاقه وجبنه . ويشعر بأن عباداته
خسرت روحها الصافية فلم يبق منها الا وخز
خفى ينفث الأسى ، وأذعن أكثر لمغريات الطعام

الدسم وراح يحلم بالمشروع المقترح ، ويحلم أيضا بالهجرة من الحارة التي لم تعد تعد بخير .

ومنه علمت عين برغبته في انشاء مشروع تجارى فرحبت بالفكرة وقالت :

— طالما فكرت في ذلك ولكنى انتظرت حتى يجيء التفكير من ناحيتك !

فلم يسر بترحيبها وتونجس خيفة غامضة أما عين فواصلت تقول :

— لا خبرة لك ولكن لا شيء يدعو لليأس ، الناس حولنا يعملون في الخشب والدقيق والبن والخيش ، دعنى أدخلك شريكا لأحدهم حتى تعرف سر المهنة ، ولك بعد ذلك أن تستمر معه أو أن تستقل بعمل مماثل في مكان آخر ..

وجد نفسه على باب تغيير حاسم سيقلب نظام حياته رأسا على عقب فأجفل ، هل يتحرر من النظام الراهن بسهولة ؟ . انه يسهر الليل في الغرزة ، وينام حتى الظهيرة ، ويتسلى بقصص الجريمة ، فهل يتخلى عن ذلك كله دفعة واحدة ؟ ! قال :

— عظيم .. سيحدث ذلك دون ريب .. ولكن فلنؤجل تنفيذه الى حين ..

وألحت عليه الرغبة في هجر الحارة ، وجعل يردد رغبته على مسمع من سيدة . وانقبض قلب

الفتاة ، انها تعلم يقينا أن حياتها الزوجية تدين ببقائها حتى الآن لعين . وأنه لا يتجاوز الحد في الاساءة اليها حذرا من اغضاب أمه ، ولكن أى مصير تلقى اذا انفرد بها في مكان بعيد ؟ !

لذلك وشت بأفكاره الى عين ورجتها أن تخفى وشايتها . وتساءلت عين آسفة :

— أين يجد مثل دارنا ؟ ولكنه كره الحارة ! وفكرت لأول مرة في ادخال تجديدات حديثة على هندسة دارها العريقة ، وأنفقت بسخاء لتوصل اليها الماء والمجارى والكهرباء حتى عجب عزت من قرارها المفاجيء . . وتساءلت ضاحكة :

— لم لا ؟ . . الدنيا تتغير ، وثمة تجديدات تنفع ولا تضر . .

ثم سألته بعد حين قليل :

— هل يروك الأثاث الحديث ؟

فتساءل بفتور :

— ما أهمية ذلك ؟

— أنت شاب ، وللشباب ميسوله ، ممكن أن تجيء بقطع حديثة لتحل مكانها بين الأثاث القديم ، وممكن أن نجعل التجديد في حجرتك شاملا ، لم لا ؟ ، ماذا يعجبك ؟ !

فرفع منكبيه ولم ينبس ، وداخله شك في أن سيدة وشت به ، وسألها حال انفراده بها :

— هل أطلعتها على رغبتى فى الذهاب ؟
فأنكرت بشدة ولكنه قال بازدياء :
— نمامة واشية مثل أمك ..
وعلمت عين بالشجار فواجهته بالصراحة
التي تحبها • قالت له :
— لا تعذب أم سمير أكثر من ذلك ، هذه دارك
وقد جددتها اكراما لك ، اذا كانت لك رغبة فى
حياة مستقلة بعيدا عن حارتك فلن أعترض
رغبتك ، لك الحرية الكاملة فافعل ما تشاء ..
هكذا وجد نفسه مع حريته — مرة أخرى — بلا
عائق • وسرعان ما فترت همته وتحرك تردده •
كالعادة توقف فوق العتبة • ترى من أين
يزحف عليه هذا الشلل ؟! • أهى حياته الخاصة
التي تحولت الى بلادة ناعسة ؟ • هل يوجد فى
عين سر خفى ما زال يجهله ؟

١١

وطالعتة عين ذات صباح بعينين محمرتين
من أثر البكاء فأنزعج جدا • لا يذكر أنه رآها
تبكى من قبل • سألها عما بها بقلب منقبض
يتوقع شرا فهمست بصوت حزين :
— بركة .. تعيش انت !

فما تمالك أن ابتسم وهو يشعر بالنجاة
وتمتم :

– الققط تملأ الدار ، البقية في حياتك . .
– لكن بركة هي الأصل ، كان قلبها عامرا
بالحب وحسن الادراك ، ولم يكن ثمة مفر فقد
انتهى الأجل . .

كان قد ألف هذه الدروشة ، وسلم بحقيقة
المناجاة المتبادلة بين أمه والققط ، وربط بين
ذلك وبين حيويتها التي لم تنقص منها سبعون
عاما شيئا . كذلك ألف معاشرة سيدة الراكدة ،
بل لقد تألم لأجهاضها مرتين بلا سبب ظاهر ،
وقد خفق قلبه عندما قالت له أمه ذات يوم :

– أن لنا أن نرسل سمير الى الشيخ العزيزي!
حقا بلغ سمير السادسة ، وضحت الآن ملامح
عين في وجهه . الزمن يتقدم وقد بلغ هو الخامسة
والعشرين من عمره ، لم يحدث شيء هام في أثناء
ذلك . . بل حدث تغير خفى لم يهمس به لأحد .

تغير عجب له وانزعج . انه الفتور الذي
يسرى في شعوره الديني . لا علاقة بذلك بأحد
من جلساء الغرزة فهم مؤمنون . ولا شأن
لقصص الجريمة في ذلك . ولا دخل للتفكير في
الموضوع كله فهو لا يفكر ، ما هو الا فتور في
الشعور أخمد الحماس واليقين فتهاوت أركان
المعبد . . كف عن الصلاة والصيام ولكنه احتفظ

بسر ذلك لنفسه فلم يقطن اليه أحد . وخوت
الدنيا ولم يكن في وسعه أن ينعشها ، دنيا الفراغ
والأكاذيب .

ولاحظ رمضان الزينى - عميد الفرزة -
كآبته ذات ليلة فقال له :

- وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها . .

فابتسم متسائلا فقال الرجل :

- جاءه ومال وشباب ، ماذا تريد أكثر من
ذلك ؟ !

صدق الرجل ، حتى لو تهادى اليه ميراثه
فأى شيء يفعل أكثر مما يفعل الآن ؟

★ ★ ★

والفرزة تقع في مكان فريد على الحد الفاصل
بين التاريخ والعصر . في حجرة مراقبة بالحصن
العتيق القسائم فوق القبو . في زمن مضى كان
القبو هو الباب الشمالى للقاهرة وكان الحصن
فوقه هو مركز الأمن والدفاع . اليوم الحصن
أثر من الآثار ، والقبو ممر عبور ومنسامة
للمتسولين ، ورمضان الزينى هو الذى اختار
حجرة المراقبة مكانا لفرزته . ليست هى
بالواسعة ولا بالضيقة ، وتتوفر لها التهوية من
نافذة كان يطلق منها الرماة نبالهم . وجعل من
خفير الآثار خادما للجلسة ، يهيب الجوزة
ويدور بها ، ويشارك في التدخين والعشاء .

واحتفل عزت بدخول سسمير الكتاب فأهدى
الجلسة خروفا مشويا وصينية بسبوسة • وكانت
ليلة لا تنسى ، لا للمناسبة السعيدة وحدها ،
ولكن لخبر جديد جاء به رمضان الزينى • قال :

— رأيت أمس ما لا عين رأت ••

فتطلعت اليه الأعين الناعسة فقال :

— مر بالدرب الأحمر سيرك اللاوندى فذهبت

اليه ، بدأ العرض بالتمثيل ، رأيت المثلة
والممثل • من هما فيما تظنان ؟

قال له صوت مازحا :

— أمك وأبوك ••

ولكنه استمر دون مبالاة :

— بدرية المناويشى وحمدون عجرمة !

وتصايح القوم :

— غير معقول ••

أما عزت فقد اندلق فوق رأسه جردل ماء

مثلج • فتح عينيه نصف المغضتين فرأى الماضى

متجسدا متسرבלا بالانفعالات العنيفة •

وقال رمضان مسرورا بما أثار من اهتمام :

— بلحمهما ودمهما •

— يا للفضيحة ! ••

وقال رمضان :

— ما يبدأ بالهرب ينتهى فى السيرك ••

وتعاقبت التعليقات كالسموم ، ورجع الماضى

الى عزت ككأنما لم يغادره دقيقة واحدة لا سبع
سنوات كاملة أو تزيد ، ورغما عنه تمتم :
- يا لها من نهاية !

قال رمضان :

- صممت على احراجہ فقابلته ..

- لا شك أنه انزوى ؟

- أبدا .. ضحك .. رجب بي . انه الاستهتار

نفسه ..

وسأله عزت :

- ألا زال السيرك يعمل بالدرب الأحمر ؟

- كلا .. ولكن حمدون وعد بزيارتنا هنا ..

- مستحيل ..

- سترون بأنفسكم بعد قليل ..

- حقيقة انه لقارح ..

واضطرب عزت ، أيرى حقا حمدون بعد
قليل ؟ . ماذا يهم ؟ . لقد اندثر الماضي ومات
الحب كما ماتت الصداقة ، ولكن وثوب الماضي
على الحاضر فجأة لا يمر دون قلقلة . وتخيل
للقاء صورا عديدة ولكن ما حدث فعلا كان
مختلفا عما تخيل ، فما أن رآه ينظر اليه من تحت
حاجبيه البارزين بابتسامة مشرقة فاتحا ذراعيه
حتى لبي دعوته فتعانقا بحرارة ، وهمس حمدون
في أذنه :

— ما جئت الا من أجلك عندما عرفت أنك من
أركان الجلسة ..

وسرعان ما شارك في التدخين بتلقائية وبلا
حرج . لم يجد أحد الشجاعة للحملة عليه غير
أن رمضان قال :

— ما تصورت أن أجذك في سيرك ..

فقال ضاحكا :

— عملنا مقصور على المسرحية وهى من

تأليفى ..

— ولكنك كنت موظفا ..

— وما زلت ، المسرح هواية ليس الا ..

— ولكن ..

ولم يكمل رمضان فضحك حمدون وقال :

— ولكن زوجتى ، أليس كذلك ؟ .. انها فنانة

مثلى ، لا جدوى من محاولة اقناع حارتنا بذلك .

ولكننا أسرة شريفة كسائر الأسر الشريفة !

لم تتكلم ال قرقرة الجوزة .. ثم التفت نحو

عزت وقال :

— يسعدنى أن أشارك في الاحتفال بدخول

ابنك الكتاب .

— وأنت كم ولدا لك ؟

— أنجبت واحدا لم يعمر أكثر من عام ولا شىء

بعد ذلك والحمد لله ..

فسأله رمضان :

— ألا تود أن تعقب ذرية ؟
— انها معطلة لنشاطنا الفنى !
وقرقرت الجوزة وحدها مرة أخرى .

★ ★ ★

غادرا الغرزة معا . دعاه الى داره وهى تغط
فى النوم . جلسا فى الحديقة رغم ميل الخريف الى
البرودة فى وقت الفجر . تبادلوا عواطف صادقة
دون أن يشير أحدهما الى الماضى بكلمة . شعر
عزت بانتعاش روحى جديد . قبض على الصداقة
صافية بعد أن تلاشت الذكريات الأليمة ، عادا
كما كانا بلا حب خائب يفرق بينهما . انها لمعجزة
تروى . وراح حمدون يحدثه عن تجربته :

— ما زلت موظفا ولكن كفاحى فى سبيل الفن
لم يضعف لحظة ، واكتشفت أيضا موهبة بدرية ،
ولكن كيف نشق طريقنا فى الصخر ؟ ، لقد
رفضتني المسارح كمؤلف كما رفضت زوجتى
كممثلة ، لم أياأس ، عرفت صاحب سيرك
اللاوندى ، اقترحت عليه أن نعرض مسرحية من
فصل واحد بدلا من التهريج المجوج ، لم نطالب
بأجر فقبل التجربة ، وقد نجحنا وانبسط الجمهور
أضعافا مضاعفة .

فقال عزت :

— ولكنه سيرك !

— أجل ، خير من لا شيء حتى تلتين ارادة
المستقبل ..

ويدافع من الكبرياء أخبره عن مشروعه
التجارى الذى يفكر فيه فقال حمدون :

— لا مفر من ذلك والا فما معنى الحياة ؟!

— اذن فحياتك الآن لها معنى ؟

— انها مفعمة بالنشاط .. ومن يدري فقد

أكون فرقة ذات يوم ..

— وهل تستطيع أن تصمد أمام المسارح

الكبيرة ؟

— أعنى فرقة صغيرة تعمل فى روض الفرج

صيفا ، وان وجدنا تشجيعا عملنا فى الكلوب

المصرى شتاء ، هذا ما أطمح اليه ..

دار رأس عزت ، دهمته خواطر غريبة

مباغتة • غزاه الهام بعث النشاط فى قلبه

وارادته • لم يشعر من قبل بمثل ما شعر به

وقتذاك من قدرة على الخلق والعمل والاقتحام •

ولكى يثبت لنفسه أنه موجود لا حالم قال :

— حدثنى يا حمدون عن التكاليف المطلوبة •

فقال الشاب باهتمام :

— أجرة المسرح والممثلين والملابس

والديكورات • ليس بالمبلغ الخيالى ولكن يحسن

ألا يقل عن خمسمائة جنيه ؟

فتفكر عزت قليلا ثم تساءل :

— هل يضمن النجاح ؟
— أعتقد ذلك خاصة اذا أدركنا البوفيه
لحسابنا .
وساد صمت مليء بالانفعالات والأمل والدوافع
العميقة . أخيرا تتم عزت :
— دعنى أفكر يا حمدون قليلا . .

١٢

لم يكن فى حاجة حقا للتفكير (كما يقول
الراوى) ان اجتاحتها دفعة حيوية شديدة الانطلاق
والقوة خلقت منه انسانا جديدا مجنوننا
بالحركة ، دعاه داع عميق للنشاط والثورة على
البلادة حتى أنكر نفسه ، واعتبر الأمر لهوا
مقدسا ولعبا سارا تتحقق به الذات على نحو
بهيج . ولم يغيب عن تقديره أن المشروع الجديد
يجب أن يطوى فى طى الكتمان . فلا هو مما يمكن
التفاهم عليه صراحة مع عين ، ولا هو من
الأعمال التى تعترف بها حارته أو تحترمها ،
وسوف تلوكه الألسنة اذا انكشف السر وتجود
عليه بأشنع الصفات . ولم يثبط ذلك من همته ،
بل لعله ضاعف من حماسه وتمرده . صاحب
مسرح ومديره ترى ما معنى ذلك ؟ أعجب من

ذلك أنه لم يكتشف في نفسه اهتماما حقيقيا
بالمسرح ولكنه يجرى وراء المجهول وتحدياته
الغامضة ، وينجذب الى فترة ماضية عامرة
بالثراء . ولا مرأى في أن الادارة تناسبه ، وصحية
حمدون تعابثه ، وتغيير الجو من النقيض الى
النقيض يسحره ، وحسن أن يخوض التجربة
متحررا من ضعف الحب وآلام الوهم وبقلب
متوفز جسور .

ولكن هل تصادفه عقبة غير متوقعة عند أمه ؟
لقد قالت له :

— انه مبلغ لا يستهان به ولكنه لك حبا
وكرامة . أريد فقط أن أعرف مشروعك .

— شركة مقاولات .

— دعنى أجلس ساعة مع شركائك .
فانتفض غاضبا وهتف :

— لست قاصرا ، وهذه أعمال رجال !
فضحكت قائلة :

— ليكن التوفيق حليفك .

★ ★ ★

اصطحبه حمدون الى شقته القديمة بشارع
محمد على لتناول الغداء . عندما لاح له المسكن
شعر برغبة جازمة في الهرب ، غير أن الرغبة
اندفعت في اتجاه ومضى هو يتأبط ذراع حمدون
في الاتجاه المضاد ، بعد دقيقة أو نحوها سيرى

بدرية المناويشى ، ممثلة سيرك اللاوندى . ،
ويلمس راحة يدها لأول مرة فى حياته ، لو حدث
ذلك قبل سبعة أعوام لتكهرب أو اشتعل ولكنه
يمضى اليوم متحررا وقد ذاب العاشق القديم فى
تيار الزمن وحل محله آخر يحلم بالادارة
والسيادة واللهو البريء .

فتح الباب عن محياها الثرى وابتسامتها
العذبة وهى مرتدية فستانا منقطا بالبياض ،
ورجع الصوت القديم وهو يقول بمرح وترحيب :
- أهلا .. أهلا ..

دخل عالما جديدا لا رجعة منه ، كان عليه أن
ينقب عنه بين الأطلال ، وها هو يغزوه متمتعا
بالصحة والصداقة . وتذكر آلام الحب فتعجب .
وجلس فى حجرة استقبال متواضعة وغرقوا فى
المجاملات والذكريات المحايده ثم دعى الى
المائدة ، أثاث البيت ينطق بالتقشف . صديقه
يعانى وها هو يجيئه فى الوقت المناسب ، وراح
يتناول طعامه بحماس قائلا :

- تعلمت أن أكل كما ينبغى .

فقالت بدرية :

- ازداد وزنك ، ربما أكثر مما يلزم .

فقال حمدون معترضا :

- انه مناسب جدا لصاحب مسرح ومديره .

فقالت بدرية :

— اليك المسقعة وورق العنب اللذين تحبهما
كما أخبرنى حمدون ..

وفى حجرة الاستقبال مرة أخرى قال عزت
لحمدون :

— أرجو أن تكون أحسنت التصرف مع
الوقت .

فقال حمدون بثقة :

— سنبدأ مع أول يوم من الموسم الصيفى ،
اخترت الممثلين والممثلات وسائر العاملين ،
وعند العصر سيحضر الأستاذ يوسف راضى
المحامى . كل شىء جاهز ..
وتذكر وفاة أبيها منذ سنوات فقدم لها العزاء
وسألها :

— هل ترين والدتك ؟

فقالت باقتضاب :

— تزوجت من زمان وانتقلت بصفة نهائية الى
البلينا ..

فقال حمدون ضاحكا :

— حسن أن يعيش الرجل بلا حماة ..

فقالت له بدرية :

— أنت مؤلف ووغد ..

— المهم أن أنجح كمؤلف .. أتود أن ترى

مكتبتى ؟

- فأجاب عزت بفتور :
- طبعا ولكن فيما بعد !
- وسألته بدرية :
- كيف حال الست عين ؟ أما زالت تغدق
الرحمة على أهل حارتنا ؟
- فقال ببرود :
- في غاية من النشاط والحركة .
- أظن أنه آن لها أن تستريح .
- ما زالت شابة !
- فقال حمدون باخلاص :
- انها تستحق الاجلال على مدى الدهر .
- فقال عزت ضاحكا :
- يخيّل الى أحيانا أننا أسرة من المجانين !
- اذن فالجنون خير ما يوصف للعالم
لأنقاذه .
- أما زلت تعتقد أن العالم في حاجة الى انقاذ ؟
- فرفع حمدون يديه الى السماء وهتف :
- اللهم فاشهد !
- لاحظ عزت أن بشاشة بدرية تلاشت فجأة
وأنها غيرت مجرى الحديث قائلة :
- لولا ثقّتي في أن مالك لن يتبدد ما رضيت أن
نجرّك الى مشروعا .
- شيء مذهش حقا أن تنجحي كمثلة .
- فأشارت نحو حمدون وقالت :

— انه صاحب الفضل ، هو المكتشف وهو
المعلم ، يحفظنى دورى ، وأصر على تقويتى فى
القراءة لأحفظ بنفسى .

فقال حمدون :

— لا أهمية لذلك طالما نقدم فصولا فكاهية ،
ولكنى أحلم بتقديم مسرحيات شكسبير المترجمة
فعليك أن تحسنى النطق بالفصحى . .

— الضحك مضمون النجاح ، وسوف يؤيد
المدير رأىى . .

فابتسم عزت وامتنع عن الاشتراك فى الحديث ،
فقال حمدون :

— الدموع تنجح كالضحك ، وقد قرأت
حضرتها مناظر من يوليوس قيصر فأبدعت .
نسى الحارة تماما بادية الأمر ، كأنها ذكرى
أسطورية ، ثم جاءت سيدة لتجلس لصق بدرية
ولتدعو الى مقارنة قاسية . نشأة واحدة فى
الحارة والكتاب . هذه تتألق بالذكاء والجمال
والاقتحام والأخرى تتوارى وراء مسكنة مأكرة
ببشرتها الداكنة وأنفها المتكور واستسلامها
المنيع ، لكن ماذا صنع حمدون من بدرية وماذا
صنع هو من سيدة ؟ وقال أيضا ان سيدة أنجبت
سميرا أما هذه الحسناء فلم تنجب شيئا ، ولو قدر
لها أن تتزوج منه لتغيرت المصائر الى أفضل
أو أسوأ .

خير ما يفعله ألا يفكر الا في مركزه الجديد
كمدير على هذين النجمين ، وهو به سعيد جداً ،
وفي غمرة حماس تتزايد قال :

ـ لعلنا نستطيع أن نستأجر مسرحاً كبيراً
في المستقبل ..

ففرج حمدون بين ساقيه واضطجع الى مسند
الكنبة ليطلق لأحلامه العنان ، أما بدرية فقالت :

ـ المهم أن ننجح أولاً :

فتمتم عزت :

ـ لو أنها تهبنى ما تبعثره على الناس ، لو أنني
أبيع عمارة واحدة !

فاستوى حمدون في جلسته وقال محتجاً :

ـ انى أعترض على الأحلام غير البريئة !

فقال عزت دون مناسبة ظاهرة :

ـ أود أن يكون لي مسكن خاص بعيداً عن

الحارة ..

قبيل العصر بقليل دق جرس الشقة فقام
حمدون وهو يقول :

ـ جاء الأستاذ يوسف راضى وبدأ العمل .

تمخض الشتاء وأوائل الربيع عن اعداد واستعداد وانفاق مال ، كما تمخض عن صداقة حميمة بين عزت وحمدون وجدرية . . . ويعد الراوى تلك الفترة من أسعد الفترات في حياة عزت عبد الباقي ، وكان يمضى شطرا كبيرا منها في شقة حمدون وهناك تحررت العقود مع مالك المسرح والممثلين والممثلات والفنيين والعمال ، وقد جدد أجزاء من مبنى المسرح وزوده بكراسي جديدة ، وركب له مدخلا جديدا ، فصار تحفة روض الفرج كما قال عم فرج يا مسهل عامل النظافة والمنادى الذى يرجع أصله الى الحارة ، وفي ابريل نقلوا مكان العمل الى المسرح نفسه ، وقد أعجبه حجرة المدير بمكتبها الكبير والخزانة والمقاعد الجلدية الوثيرة ، ومارس عزت عمله كمدير وصاحب للمسرح ، لم تكن السيادة بأحوال الغريبة عنه ولكنها لم تمتد من قبل الى آخرين بهذه النوعية ، وتبدت المثلثات لعينيه في صورة مبتذلة جدا أقرب الى دنيا الدعارة منها الى دنيا الفن ، وخيل اليه أنهم يتسابقن في عرض أنفسهن عليه فمضى في اعداد شقة خاصة في بيت متوسط

الحجم بحدائق شبرا ، نوى أن يدعو اليه أسرته الخاصة بعد أن يستغله لنفسه قبل ذلك . ولاحظ حمدون تطلعاته الجنسية فقال له :

— استمع الى الصديق ، جميعهن رخيصات كما ترى ، الممثلات الحقيقيات لا يفرطن في مسارحن من أجل مسرح كمسرحنا ، وأى علاقة مع امرأة من هؤلاء ستضع من مكانتك كمدير ، افعل ما تشاء بعيدا عن هنا . .

قامتثل للنصيحة ، لم يلق صعوبة تذكر ولم تكن به رغبة حقيقية . توفر لعمله بحماس وأشواق ، أو توفر له الرجل الجديد الذى خلق ليلة الاحتفال بدخول سمير الكتاب . وكان يلحق عند منتصف الليل بغرزة رمضان الزينى فى حجرة المراقبة بالحصن الأثرى العتيق ثم يمضى الى دار عين عند مطلع الفجر .

وكمدير قرأ النص ، مسرحية نديم السلطان المقتبسة من ألف ليلة وليلة ، وهى التى قدمها حمدون من خزانة مؤلفاته المتراكمة . شهد أيضا البروفات ، وراقب حمدون وهو يقوم بواجباته المتعددة من الاخراج والتمثيل ، ورنا بدهشة الى بدرية وهى ترقل فى طيلسان الجارية الرومية . من المؤسف أنه لا دور له فى هذا العمل المعقد السحرى الفاتن ، وقال له حمدون .

- ستكون المنافسة شديدة ، توجد ثلاثة مسارح غير مسرحنا •
- فقلت بدرية :
- ميزتنا أن روايتنا جديدة ، جميع رواياتهم معادة من التراث الهزلى ••
- فقال الأستاذ يوسف راضى :
- لا تنسى أنهم يغيرون العرض كل أسبوع ، والمكان لا يحتفل عرض رواية واحدة أكثر من أسبوعين أو ثلاثة ولو كانت جديدة !
- فقال حمدون :
- عندى مخزون غزير ، وعندنا التراث أيضا •
- فقال المحامى :
- أنا عندى أيضا رواية جديدة !
- فسألته بدرية :
- فكاهية ؟
- دراما جادة تعالج مشكلة تعدد الزوجات •
- فقال حمدون :
- موضوع ضالغ أيضا للمعالجة الفكاهية •
- لكنى تناولته من نواحيه الأساوية ••
- فقلت بدرية :
- لا يصلح لروض الفرج على أى حال ••
- فرمق يوسف راضى عزت برجاء فقال هذا بثقة جديدة :

— دعنى أقرأها أولا ..

وارتاح للقرار واعتبره من صميم عمله .

★ ★ ★

وكانت ليلة الافتتاح فى أول مايو ، وقف عم
فرج يا مسهل أمام المدخل يصيح بصوت مجلجل :
— هنا .. ست بدرية الفنانة .. مسرحية
جديدة لم تمثل من قبل .. نديم السلطان ..
ضحك حتى منتصف الليل .. أغانى ورقص ..
مشروبات من جميع الأنواع ..

كان عزت متوتر الأعصاب ، لم يعرف هذه
الحال من قبل الا فى محنة الحب ، وعند استهتاره
بالعبادات لأول مرة . وقد شهد فى فترة الاستعداد
نجوم الفرق المنافسة فاطمأن الى تفوق بدرية
ولكنه لم يضحك — كما توقع — وهو يتابع بروفات
نديم السلطان . ومال نحو الأستاذ يوسف
راضى .. كانا الوحيدين فوق مقاعد المشاهدين
— وتساءل هامسا :

— لا شىء يدعو للضحك !

فقال المحامى منتهزا الفرصة :

— نحن فى زمن الدراما والدموع !

انقبض عند ذاك صدره وتساءل هل يرجع
الى أمه مفلسا ؟! لذلك توترت أعصابه مع مشرق
يوم الافتتاح .. غير أن الجمهور كان أكبر من
المسارح جميعا ، غصت المسارح بالرواد ، وعمل

البوفيه بنشاط فاق طاقته فاستهلكت بالعشرات
قوارير الغازورة والجنجرايل وسندويشات
القول والطعمية والبسطرمة . أكثر من هذا
ضج الجمهور بالضجك ، واستيق إلى ابداء
الاعجاب ببدرية بألفاظ خرقت الاحتشام في كثير
من الأحيان . وضع له نجاح العرض فاستقر
الثقة والكبرياء وتضاعف تقديره لحمدون ،
وشارك الجمهور في سروره بالرغم من أنه كان
يرى المسرحية للمرة العاشرة .

١٤

عقب الانتهاء عند منتصف الليل جاءت بدرية
وحمدون إلى حجرته بوجهين سعيدين فهنأهما
بالنجاح فقال حمدون بحماس :
- نجاح فاق كل تصور .
وتمتت بدرية :
- وبعد أن تاب الله علينا من السيرك . .
وقام عزت وهو يقول :
- سنحتفل بالنجاح في حدائق شبرا !
اجتمع في الشقة الجديدة بدرية وحمدون
ويوسف راضى ، كذلك فرج يا مسهل للخدمة .
وجيء بالكباب والفسق والويسكى على هين

عكف فرج يا مسهل على تجهيز الجوزة • وذاق
عزت الويسكى لأول مرة في حياته فغزاه انفعال
جديد بالطرب غلم يعد يبالي بوضعه الغريب ولا
بتدهور قيمه • ورأى الكأس بيد بدرية فملكه
شعور بأنهم - جميعا - أجانب ، وأن الحارة
القديمة كانت حلما ليس الا • ولما أخذت النشوة
بحمدون قال بنبرة خطابية :

- عرفت عزت في كتاب الشيخ العزيزى فخلقت
فوق الحصيرة صداقة أبدية ولكنى لم أعرف الا
الساعة أنه قدر علينا مصير واحد • •
فقال عزت :

- لكل انسان أسرة حقيقية خلق لها ،
وباhtدائه اليها يبدأ حياته الأصيلة • •
فهتفت بدرية :

- كان علينا أن نضل طويلا قبل أن نهتدى
الى أنفسنا !

وانغمس عزت في الهام عجيب فتح قلبه لاشراق
باهر • وأحب بقوة خيالية كل شىء • غير أنه
كان أيسر عليه أن ينفصل عن قلبه أو كبده من
أن ينفصل عن حمدون وبدرية أو المسرح الذى
هيا لهم الالتحام الأبدى • وقال ان بالدنيا كتورا
من الأفراح لا تخطر على بال • ولكن على من
يروم السعادة أن يكون حاسما مع المعوقات
المتلفة بظلمة الأركان العتيقة • وقال :

- أرغب في الغناء لولا قبح صوتي !
 فقال حمدون ضاحكا :
 - لنترك هذه المسألة لضميرك .
 وقالت بدرية مشيرة الى حمدون :
 - كثيرا ما كان يصحو من نومه فيقول :
 « حلمت بعزت ! »
 فسأله عزت :
 - بم كنت تحلم ؟
 - أه .. ما أسرع أن تنسى الأحلام !
 فقالت بدرية :
 - لكني ما زلت أذكر حلمي رواه لي ، رأى
 أنكما ترقصان معا في قارب ..
 - ترى ما تفسيره ؟
 - انه لا يهتم بذلك ..
 فقال فرج يا مسهل :
 - لقد تحقق في مسرحنا « الفردوس » فهو
 قارب على شاطئ النيل ..
 وسرعان ما رحبوا بالتفسير غير أن عزت
 تساءل في نفسه ترى ماذا كنت أحلم في ذلك
 الزمن ؟ !

★ ★ ★

في طريقه الى الحارة امتعض كثيرا قلعه
 الحركة القسرية التي تختتم بها الدائرة . حتى
 الغرزة أوى أصحابها الى مضاجعهم . وهو

يخوض الظلّمة ارتطم به معتوه معروف يطيب له
الهيّمان في الظلّمة ، وقع رأسه عليه وهو يتمتم
بكلمات ممطوطة لا معنى لها فسال لعابه على
خد عزت وعنقه . تقزز الفتى ودفعه بقوة
فارتدى على ظهره عاويا . وجاءت نحنة الخفير
من بعيد محذرة متسائلة فبلغ به القهر منتهاه .
وانطلق منه قرار متكامل الأبعاد غير مسبوق
بتدبير . كما ينقض قاطع طريق متربص . أن
يرجع الى الأبد : أن يقفز من شرفة الحصن
العتيق ليقتنص حظا جديدا .
دار على عقبه ومضى مترنحا ثملا بفرحة
طاغية .

★ ★ ★

يقول الراوى :
انه عند عصر اليوم التالى جاء رسول الى دار
عين حاملا وثيقة طلاق عزت من سيدة . أجهشت
سيدة بالبكاء وراحت تجمع ثيابها في غمرة
انفعالها . أسندت عين رأسها الى ظهر الديوان
المحلى بالحكم والأمثال وأغمضت عينيها .
وجعلت تهمس :

— ما أصدقك يا قلبى ..

ولما فتحت عينيها رأت سيدة تنتهى من جمع
ملابسها ، وسمير يتابعها بوجوم .
صاحت عين :

— ما هذا ؟ !

واعتدلت في جلستها وقالت بلهجة أمرة :

— أرجعى ملايسك الى مكانها ..

فقالت سيدة بصوت ممزق :

— كيف أبقى معه تحت سقف واحد ؟

فقالت عين بأسى :

— لن يرجع الينا مرة أخرى ..

وقامت تتمشى في الحجرة ثم تمتمت :

— لن أدهش اذا تحول السقف الى سحب

وانهل منه المطر ..

تمتت سيدة :

— أذهب الى أمى ..

فقالت بضيق :

— قلت لك ان أمك هي أنا ، هذا بيتك ، هذا

ابنك سمير ، أمكثى بسلام حتى يرزقك الله بخير

منه ..

وأرجعت الملابس بيديها وهي تواصل :

— حدثنى قلبى بأن أحداثا ستقع ، السحب

لا تتجمع لغير ما هدف ..

وأخذت سمير من يده الى الديوان وقالت

مغيرة لهجتها :

— الشيخ العزيزى يثنى عليك طيب الثناء .

أجتهد وعز قلوبنا الجريحة ..

همس الولد بقلق :

— بابا ..

— لقد باعنا بالتراب ، هذا هو أبوك !

وتساءلت في تأثر :

— لم لا يكون الجزاء من جنس العمل ؟ !

وتنهدت ثم قالت مخاطبة المجهول :

— لقد رببته على خير ما أستطيع ، وباركته

بالهدى والحب ، ماذا به ؟ كان دائما وكأنه يتوشب

للسفر ، الى أين ؟ ، لماذا تخاصم الهواء ؟ ، لماذا

تتحدى راحة البال ؟ ، لماذا تبحث عن المتاعب ؟

★ ★ ★

واصلت الحياة سيرها الوثيد في الدار

والحارة . مكثت سيدة بالدار في حياة جديدة

خالية من الصراعات . استأنفت عين جولاتها

المجللة بالحب والرحمة مبدية تماسكا وصبرا

جليلا حيال المكدرات . وسعدت باجتهاد سمير

وتقدمه . وانتشرت أنباء عزت في الحارة ..

الطلاق والهجر — قلعت الرجال والنساء الولد

المارق .

الموسم يمضى فى نجاح • عرضت فرقة
 «القردوس» أربع مسرحيات من تأليف حمدون •
 ومنذ أواخر أغسطس بدأ نشاط جديد لأعداد
 مسرح الكلوب المصرى للموسم الشتوى • عزت
 يتمرس بعمل المدير ، يحن لرؤية سمير ، ولكنه
 لا يفكر قط فى زيارة الحارة • ودارت مناقشة
 حول الموسم الجديد فى مكتب عزت فقال حمدون
 عجرفة :

— انى أحذرك من مسرحية يوسف راضى •
 فقال عزت :

— سأجد وسيلة لاقتناعه ••
 عند ذاك تساءلت بدرية :

— هل نعرض رواياتنا الهزلية فى الكلوب
 المصرى ؟

فقال حمدون :

— انها ليست هزلية بالمعنى المتعارف عليه ،
 فمن خلال الهزل أقول أشياء لها قيمتها ••
 فقال عزت :

— عظيم ، ولكنك حدثتني مرارا عن خطبة
 أخرى ••

— اذا كان لا بد من الجد فعندنا مسرحيات
شيكسبير المترجمة ..

تحرك رأس بدرية في رشاقة وقالت بعذوبة :

— انى أحب يوليوس قيصر !

رأى عزت حركة الرأس وسمع الصوت
فحدث شيء • ذهل عن بقية الحديث • ودعاه
وذهبا وهو لا يدري • تمتم وحده :

— رياه .. انى أحبها !

انها ملء القلب والنفس والحياة • هل بعث
الحب القديم في هذه اللحظة ؟ • أو أنه لم يذهب
قط ؟ • أكان يلاعبه طيلة الوقت ؟ انه لشيء
رائع مخيف • يفتح الحياة ليشحن المستقبل
بشتى الاحتمالات • وعلى أى حال يعصف
بالسلام الى الأبد • تراجعت مشكلة يوسف
راضى الى الوراء • أجل لقد توثقت علاقته به ،
هو صاحب الفضل في تعريفه بأكثر من امرأة من
صديقاته • أشعل في شقته ليالى حمراء ، لكنه لم
يهنأ بها كما تخيل • بدا له الحب التجارى مقرزا
للاغاية • وشيء خفى في طبيعته ينعص عليه صفوه
ويملؤه بالقلق والنفور • شيء خفى مغرم بالنكد ،
حتى قبل أن يكتشف حبه • أو قبل أن يعترف به ،
نفسه تتضح له بقوة كما تتضح الأسماك تحت
سطح الماء الشفاف • من يدري ، لعله لم يغامر
باقتحام الحياة الجديدة ، ولم يهجر عين وسمير

وسيدة والحارة ، الا من أجلها ، من أجل بدرية وسعيا وراء ندائها المجهول . انه الآن أسير تماما ، حياته محاصرة بأعداء مجهولين . متى يحدث الانفجار ؟ . ولكن مهلا . يجب أن تعالج الأمور بأسلوب آخر . ليبق الحب سرا دفيننا تحت الصداقة والعمل . فلتستمر الحياة في عذوبة ولتستكن عذاباتها الخفية . وعأوده التناقض القديم الذى عاناه فى رحاب أمه . يحب بدرية ويحنق عليها . يحب حمدون ويمقتة . يحظى بالنجاح ويقع فى قبضة القلق الحديدية . وعليه الى ذلك كله أن يتعامل معها - بدرية - ببراءة وتلقائية . لكنه لا يطمئن الى ثقته بنفسه ، ويتعرض لهبوب رياح المخاوف . وهى - وهذا يقين - تحب زوجها لحد العبادة . وهى فيما بدا مطبوعة على الوفاء والاستقامة . ومواقفها من جمهور المعجبين مضرب المثل . ما أغبى حارته فى اتهامها لها ولزوجها . الأغبياء يهتمونه بالاتجار فى عرض زوجته . ليته كان من هؤلاء الصنف من الناس . اذن لاتخذت الحياة مجرى فريدا فى انسجامها وسعادتها . وأشد ما يثيره ساعة الأرق أحيانا فى أواخر الليل . يستيقظ فيسبح فى عالم أثيرى ويجيش صدره بأعمق عواطف الشجن والأسى . ما أفضع ساعات الأرق وسحب الذكريات تهطل صورا براءة

تنداح في دموع ودماء وظلام وأنين • عند ذاك
يرجع الى البدائية الأولى المجللة بالبراءة
والوحشية والألغاز • وجعل يختلس من الرقباء
ساعة تحت ستار الظلام فيقف في ركن ليشاهد
دورها فوق المسرح في مناجاة وابتهاال ، ويتساءل
في زعر ترى عن أى مصير سيسفر هذا الجنون ؟

★ ★ ★

يقول الراوى :

انه قبيل انتهاء الموسم بأيام قلائل اندفعت
الأحداث في مجرى جديد غير متوقع ، أخل
بتوازنها وأسرع بايقاعها ، فانطلقت مثل قذيفة •
كان عزت في حجرة الادارة عندما جاءت بدرية
وحدها قبل رفع الستارة بساعة أو نحوها •
ورغم أنها تبدت قلقة مشتتة البال الا أن قلبه
خفق بابتهاج عميق اذ كانت أول مرة يخلو اليها
مذ عمل في رحابها • جلست وهي تقول بنبرة
المعتذرة :

— انى مضطرة الى اشراكك في همومى
الشخصية ••

تضاعف ابتهاجه للثقة الموهوبة من أحب
الناس وقال :

— همومك هى همومى أيضا •

قربت رأسها من المكتب حتى مست خصلات
شعرها الأسود حافة الغطاء البلورى وهمست :

— هناك شيء واحد يجمع بيننا في هذه الهموم -
تمتم وهو يبذل طاقة كبيرة للسيطرة على
أنفعالاته :

— انى مصغ اليك بكل جوارحي ..
— هذا الشيء هو حبنا لحمدون !
تراجع حتى ارتطم مؤخر رأسه بجدار الحقيقة
الباردة وقال :
— طبعاً ..

— تحدث أشياء غريبة في بيتنا من شأنها أن
تهدد حياتنا وعملنا ومستقبلنا ..

— ترى ما هي هذه الأشياء الغريبة ؟!

— هل سمعت عن « أبناء الغد » ؟

— أجل ..

— بعضهم يتسللون الى شقتى من تحت
البوابكى كل ليلة ..
— كيف ؟

— عقب عودتنا من المسرح والشرطة نائمة أو
هكذا يتوهمون !

— لا أكاد أفهم شيئاً ..

— انهم متمردون على كل شيء ، ومطاردون ..

— ومتهمون باغتيالات معروفة !

— هذه هي المسألة :

— أتعنين أن حمدون .. ؟

ولاذ بالصمت فقالت وهي تتنهد :

- نعم ، حسبت الأمر مجرد تعاطف قلبي ،
- حتى اختاروا شقتنا مكانا لاجتماعهم ، وعيشا
- حاولت منع ذلك فضلا عن اقناعه بالتخلي عنهم .
- فتمتم عزت متفكرا :
- انه شيء خطير حقا ..
- لذلك ألجأ اليك ..
- فتساءل في حيرة :
- تعنين أن أفاتحه في الموضوع ؟
- أعندك رأى آخر ؟ .
- ألا يغضب لافشائك سره ؟
- فقالت بسرعة :
- لا يجوز أن يعرف ذلك !
- فكيف أفسر له معرفتى بالأمر ؟
- لا أدري .. ولكن أبعد ظنه عني !
- نظرت في ساعة يدها . نهضت وهى تقول :
- اعتمادى بعد الله عليك ..
- وسرعان ما غادرت الحجرة .

تركته في دوامة ، دوامة لا تبقى عضوا واحدا
 في موضعه الطبيعي ، الدنيا ألوان وأصوات
 وأفكار وملائكة وشياطين متلاطمة ، ثمل بالثقة ،
 تحفز للمساعدة • تحير طويلا • عبره طرب
 مجهول • وكان عليه أن يهتدى الى فكرة •
 وتعرض أفكاره صورة حمدون في لباس السجن ، -
 أو فوق المشنقة • يقول لنفسه بصوت مسموع
 لا بد من خطوة لانقاذ الموقف • لا يجوز أن تهجر
 بديرية أو تترمل ، لا يجوز ؟ •
 عليه أن يكون عند حسن الظن به • عليه ألا
 يهمل واجبه • القدر أيضا لا يهمل واجبه •
 عند انتهاء الليلة قبل الختامية قال عزت
 لحمدون :

— أود أن أحتفل بالنجاح في شقتك ولا أريد
 رابعا معنا !

بهت حمدون عجربة وقال :
 — لست الليلة على ما يرام !
 — سوف ينعشك الويسكى • •
 فتساءل مترددا :
 — أليست شقتك أوفى بالغرض ؟

— ولكنّها غير خالية !
— دعنا نر عشيقتك الجميلة !
فتساءل عزت باستياء :
— كأنك لا ترحب بي ؟!

★ ★ ★

ما كاد يستقر بهم المقام في الشقة حتى دق
الجرس • هرع حمدون الى الباب • عاد بعد
دقائق وقد زايله التوتر • رفع عزت كأسه قائلاً :
— صحتكما • • أزائر في هذه الساعة من
الليل ؟

فأجاب حمدون ضاحكا :
— طارق أضله الظلام !
شرب جرعة وهو يردد بصره بينهما ثم تمتم :
— لا تحاولا خداعي •
— خداعك ؟ !
— لا تجاولا خداعي •
تساءلت بدرية :
— ماذا ؟

فقال عزت بهدوء مخيف :
— انكما متهمان !
هتف حمدون شاحب الوجه :
— صارحنا بما في نفسك •
فقال باقتضاب وثقة :
— أبناء الغد !

اشتد اصفرار وجه حمدون ، غصت بدرية
عينها ، قال حمدون :

— لا أفهم .

— بل تفهم كل شيء .

هبط صمت كالوت ولكنه لم يستقر طويلا ،
فتساءل عزت :

— أى خطر تعرضان نفسيكما له ؟

سأله حمدون باهتمام :

— من أخبرك ؟

— شخص أثق به .

— الوغد !

— من تقصد ؟ .. انك لا تعرفه ! .. لولا ثقتي

في أمانته لحدثتك على الهرب ..

— يوسف راضى !

— كلا .

— هو دون غيره .

— قلت كلا وأقسم على ذلك ! .. ومن أين له أن

يعلم ؟

— انه معنا ضمن مجموعة أخرى ولكنه يعتقد

أننى أصادر عبقريته !

— أقسم لك أنه شخص آخر .

— من هو ؟

— لست فى حل من ذكر اسمه ، سأخبرك به

ذات يوم عندما يحلنى من قسمى ، لا أهمية
لذلك ، كيف تورطتما فى ذلك ؟

فقال حمدون بضيق :

— لا علاقة لها بالأمر .

وقالت بدرية :

— لا أهتم الا بالمسرخ ..

فقال عزت مخاطبا حمدون :

— لبيتك كنت كذلك ..

— لا حيلة لى فى ذلك ..

— طول عمرك تشغل نفسك بأمر لا تهم أحدا .

— لا تهم أحدا ؟!

— لن أجادل فى ذلك ، أريد فقط أن أعلم هل

تستمر هذه الاجتماعات المريبة ؟

فلاذ حمدون بالصمت فقال عزت :

— نحن صديقان وأكثر من شقيقتين ، لنا حياة

مشتركة ، لم نكد نبداً بعد ، أمامك مستقبل باهر ،

لا زواج بين الفن والجريمة ، عليك أن تنقذ

نفسك قبل ألا ينفع الندم ..

★ ★ ★

ورجع الى حدائق شبرا وهو يقول لنفسه

ما كنت أتصور أن الملائكة والشياطين يتجاورون

فى وطن واحد !

في غمار الدوامه ، في الليلة التالية - وهي
 الليلة الختامية - رأى خالته أمونة وكريمتها
 احسان وشابا مجهولا يدخلون مسرحه . تلاقى
 الأعين فتقدم للمصافحة ، مقابلة فاترة ، ولكنه
 تعرف بعريس بنت خالته الذي دعا حماته
 للمشاركة في نزهة احتفاء بشهر العسل . لم
 يغيب عنه أن مهنته الجديدة ستعرف على حقيقتها
 في الدار والحارة وستلوكها الألسن كنادرة من
 النوادر . وكانت فكرة زيارة الأسرة تعابته من
 أن لأن فعذل عنها بقرار نهائي رغم حنينه المتقطع
 لرؤية سمير . انتهى عزت عبد الباقي القديم
 وحل محله رجل يميل الى البدانة ، ويمارس عمله
 في بيئة تكتنفها الشبهات ، وقنع بأن يكلف عم فرج
 يا مسهل - وهو أصلا من أبناء الحارة -
 باستطلاع الأخبار وموافاته بالأحوال .

وتحدد يوم ١٥ أكتوبر موعدا لافتتاح الموسم
 الشتوى بالكلوب المصرى . نفحه نجاح الموسم
 الضيفى بالثقة ، ولكن المستقبل تبتدى له رغم
 ذلك غامضا وأمدته أعماقه المنصهرة بالحب

والأخيلة المفزعة بالرغبة والقلق ، ولم يخل ببدرية
في تلك الفترة الا بقيقة فسألها :

— كيف الحال ؟

— انتهت الاجتماعات ولكن ..

— ولكن ؟

— ولكن حمدون يمر بحال سيئة ..

وقال لنفسه حسن أن تنتهى الاجتماعات غير -

أنه ابتسم ساخرا • وثمة صورة كانت تلح على
خياله ، صورة حمدون في لباس السجن يصاحبها
احساس بالألم يمجّه الصوت الخفى الذى ينغص
عليه صفوه •

وقال له يوسف راضى :

— من المناسب أن تفتتح الموسم بروايتى •

فقال عزت مجاملا :

— سنفعل ذلك ذات يوم •

فقال الشاب :

— انى أفكر فى دعوة حمدون ذات يوم لأسمع

رأيه وأدخل ما يراه ضروريا من التعديلات •

— خير ما تفعل •

وجرت مفاضلة فى شقة حمدون بين يوليوس

قيصر ونديم السلطان • بأيهما يستحسن أن

يكون الافتتاح • قالت بدرية :

— يوليوس قيصر هائلة ولكن دورى تافه •

فقال حمدون :

— لقد حفظت أقوال أنطونيو حبا واستحسانا
ولعله من الطريف أن تمثل دوره
فهتف عزت :

— دور رجل ؟ !

— لم لا ؟ .. ستكون مفاجأة مثيرة ..

★ ★ ★

ولم يتقرر شيء في الاجتماع إذ جرت الأحداث
بسرعة مذهلة . في اليوم التالي عثر على يوسف
راضى جثة هامة في شقة صغيرة بالقبيسي يقيم
فيها بمفرده . نشرت الصحف الصورة والخبر
ووصفت الجريمة بأنها وحشية وغامضة .
ارتعد عزت وانقلبت ساحة نفسه الى مسرح
للأشباح المفسزة . انه والشيطان الوحيدان
الذيان يعرفان السر . وجد الشيطان يقبع في
أعماقه ويشير ضاحكا الى حمدون . حمدون الذي
قتل رجلا بريئا جزاء جريمة وهمية لم يرتكبها .
من الذي قتل يوسف راضى ؟ ليس حمدون وحده ،
لكنه — عزت — وراء ذلك وبدرية أيضا . يا لك
من رجل خطير حقا يا حمدون ولكنك انتهيت .
انتهيت .. انتهيت .. انتهيت . اليوم أو غدا
أو بعد غد . حضرة . أنت الذي بادءتنى
بالصدقة في الكتاب . أنت القضاء والقدر .
أنت الرجل المعجزة . حضرة صاحب . أين المفر
من ذلك الصوت الذي يطاردنى ويكدر صفوى ؟

ما ذنب البريء الذى قتل غدرا وجهلا ؟ • وحتى
متى يلازمنى الشيطان وهو يضحك ؟ • حضرة
صاحب • فرصة • للتكفير فرصة • للجنون
فرصة • للعذاب فرصة • للحب فرصة • لنقف
أمام الميزان • حضرة صاحب السعادة • من أنت
حتى تخاصم وتحاكم وتحكم • من أنت حتى تنفذ
أيضا • دائما تصدر الأعدام على الآخرين •
فعلت ذلك مرتين • فى كل مرة يهتف هاتف الغيب
العين بالعين • أن أتحمل وقر اثمى فهو العدل •
أن أتحمل اثم الآخر هو الجنون • حتى لو لم
يخرج من العدم وجود فهى التجربة اليائسة •
لا بد لضحكة الشيطان أن تسكت • أو فليقهقه
حتى يرج الجدران • ترى فيم تفكر عين فى هذه
اللحظة من الزمان • حذار أن يسبقك الزمن •
حضرة صاحب السعادة النائب العام •

في الظاهر تستمر الاستعدادات للموسم الجديد
 لكن مصرع يوسف راضى من الأفئدة هزة عنيفة .
 جميع أفراد الفرقة يعرفونه معرفة شخصية .
 كاتب العقود والمؤلف المنتظر . قتل أمس
 والتحقيق ينقب في كل زاوية . سئلوا جميعا ولم
 يعثر لديهم على شيء . ذهب حمدون معهم . لم
 يبح عزت بهاجس واحد من هواجسه . رجع
 بصحبة حمدون وبدرية . لأن حمدون بالصمت
 طيلة الوقت .

قال عزت برثاء :

— يا للخسارة !

فعقب حمدون :

— أجل ، كان شابا ..

وكعادة النساء نشجت بدرية بالبكاء . وبدأت
 الدنيا غريبة كأنما تخلق من جديد ولكن في لون
 منفر . مروا في طريقهم بصندوق البريد الذى
 تعامل معه أمس لأول مرة . ترى أغادره الخطاب
 أم لا زال ينتظر . عزت .. حمدون .. بدرية .
 صندوق البريد .. يا للوحشية يا بدرية . عندما
 لا نجد الا الشيطان كرسول للضمير الحى ! أرى .

عين ناشرة المظلة لتتقى أشعة الشمس • أتشرف
بإبلاغ سعادتك •

★ ★ ★

في عصر اليوم نفسه ، اقتحمت بدرية شقيقته
بحدائق شبرا ، زيارة غير متوقعة ، متجلية
التعاسة والاضطراب ، تنذر بالمخاوف ، الخطاب
لم يصل بعد فماذا دهاها ؟ • ارتمت على مقعد
بحجرة الاستقبال وأغمضت عينيها من الاعياء ،
وقف قبالتها مذهولا ، يهمس :

— خيرا ؟! • ماذا حل بك ؟

تمتت بيأس واضح :

— انه الخراب ••

— بدرية •• ارميني بما عندك مرة واحدة •

ف قالت وهي تتنهد كمن يزفر آخر نفس :

— جن حمدون ، طلقنى ، ضربنى ، ذهب

ليعترف بجريمة قتل يوسف راضى ••

هتف متظاهرا بالانزعاج والعالم من حوله

يتناثر ويتطاير :

— أى جنون ••

— هى الحقيقة !

رأى في وجهها دمامة لم يدر من أين أتت ، رأى

امراة أخرى • قال :

— أريد أن أفهم قبل أن أجن بدورى !

نحت عينيها عنه وقالت كأنما تعترف
للمجهول :

- انقلب حالي مذ علمت بمصرع يوسف ، اتجه
ظني نحو حمدون ، أدركت أن الرجل راح ضحية
جريمة لم يرتكبها ، اجتاحني رعب وشعور مفزع
بأننى القاتلة الحقيقية .

- ذلك يعنى أننى شريك ولكنها محض أوهام .
- ليست أوهاما على الإطلاق ، يخيل الى أنك
شاركتنى العذاب أيضا ، وعقب عودتنا الى البيت
لاحظ حمدون تغيرى المطلق ، انهارت قوة
احتمالي فصارحته بخوفى من أن يكون يوسف
راضى قد راح ضحية جريمة لم يرتكبها .
قال عزت بأسف :

- اندفعت دون ترو .
- انفلت منى الاعتراف وأنا فى حال بائسة
من الانهيار .

- كيف كان وقع ذلك فى نفسه ؟
- اكفر وجهه ، استوضحنى ما أعنيه ،
اعترفت له بأن يوسف راضى لم يفش سر
الاجتماعات اليك وأننى أنا التى فعلت !
فقطب عزت واختفى وجهه تحت قناع غليظ
من الكآبة . وتبدت هى مشدودة الى ذكرى مفزعة
وطاغية ثم قالت :

- لا يمكن أن تتصور ما حدث ، لقد وثب من

مجلسه كالمردوغ ، صرخ ، تجلى الافتراس في
ملامحه ، لطمنى لطمه كادت تفقدنى الوعى ،
اتهمنى بالجريمة ، ومن شدة ألمى رددت اليه
التهمة ، صحت به : بل أنت القاتل !
تأوه عزت متسائلا :

— أهذا جزاء من يدفعه حسن النية الى انقاذ
من يحب ؟!

وراح يضرب الجدار بقبضته ، ويهدد
بالويل ، رمانى بالطلاق ، استمر يعوى مثل
وحش جريح .. ثم ركز عينيه على مليا وقال
بمقت شديد « أنت الجحيم أما أنا فقد انتهيت » .
وارتدى ملبسه فى عجلة ولهوجة وغادر
الشقة وهو يقول :

— سأطلقك أولا ، ثم أسلم نفسى ..

هتف عزت :

— يا للتعاسة !

فانخرطت بدرية فى البكاء وقالت :

— تركنى فى وحدة مرعبة !

انه يتردى فى نفس الوحدة المرعبة . لم تسرع
بتحرير الخطاب الغفل من الامضاء ؟ . كأنما لم
يكن له من هدف سوى تسجيل الخسة على نفسه ،
سيعترف حمدون قبل وصول خطابه بيوم أو
يومين . من العبث أن يمضى فى اقناع ذاته بأنه
فعل ما يمليه عليه الواجب الانسانى . وما هى

بدرية حرة وحمدون يرسف في الأغلال ، ألم يكن
ذلك حلمه الملح ؟ ! • لكنه مريض وبدرية دميمة •
والدنيا تعاني أنيميا حادة لا تصلح معها للحب ،
قال بأسى :

— اغسلى وجهك ، اشربى قدحا من الشاي ،
علينا أن نفكر بهدوء في الكارثة • •
فنهضت وهي تقول متأوهة :
— انه لا يدري كم أحبه !

١٩

عرف الآن أن حمدون عجرفة المؤلف والممثل
هو قاتل يوسف راضى المحامى ، وأن الباعث على
الجريمة هو ما لاحظته القاتل من غرام القتل
بزوجته • ذاع أيضا خبر الخطاب الغفل من
الامضاء الذى اتهم حمدون بقتل يوسف • أعيد
التحقيق مع بدرية فأكدت أقوال حمدون ولم تشر
من قريب أو بعيد الى جماعة أبناء الغد • ولم
تجد بدرية في وحدتها المرعبة من أنيس أو معين
الا عزت • زالت دمايتها الطارئة ولكن ثقلت
ملامحها بأسى ثابت وعميق ، ورغم مرارة نفسه
لم يفقد الأمل في مستقبل قريب أو بعيد •
واستمرت الفرقة في أداء البروفات دون اشتراك

بدريّة ، معيدة المسرحيات التي مثلتها في روض
الفرج . وتعتمد عزت أن يشعر بدريّة من أن لأن
بأنه ما زال يمارس عمله كمدير . وكانت تعلم
من ناحية أخرى بأنه لا مورد له إلا العمل . لذلك
تشجع ذات يوم وقال لها :

— علينا أن نبدأ العمل في ميعاده وإلا عرضنا
أنفسنا للإفلاس . .

فتمنمت بضيق شديد :

— ما أبغض ذلك !

— أشاركك الأحساس ولكن لا بد مما ليس

منه بد . .

فقالت بحزن :

— نحن الآن بلا مؤلف . .

— ولكننا نملك رصيدا لا بأس به من

المسرحيات فضلا عن التراث والروايات

الترجمة . .

— انه خسارة لا تعوض !

— ذلك حق ولكن علينا أن نفكر في كل شيء وفي

المستقبل . .

وهنا قالت برجاء :

— أود أن أنجز عملا هاما قبل بدء الموسم .

— ستجدني منى مانتوقعين وفوق مانتوقعين .

— لقد قابلت محامي حمدون فأملني كثيرا في

إنقاذه من حبل المشنقة .

— أرجو هذا فقد سلم نفسه وانتحل للجريمة
عذرا مخففا .

— طلبت منه أن يبلغه رجائي في أن يتزوج مني
مرة أخرى !

فلم يدر ماذا يقول وهو يتلقى لكمة جديدة بلا
رحمة ، أما بدرية فاستطردت :
— سيعينني ذلك على مواصلة الحياة . .
فقال بفتور :

— شيء عظيم حقا .

★ ★ ★

استعد عزت لافتتاح الموسم وهو يشعر بأنه
أحقر شيء في الوجود . لم يخفف من شعوره ما
علمه بعد ذلك من أن حمدون رفض طلب بدرية ،
بل ورفض حتى مقابلتها . وبدأ الموسم بنجاح
متوسط ، ولم يخف عنه أن بدرية فقدت الكثير
من سحرها المسرحي ، وتعاقبت الأيام لا تبشر
بخير جديد ، وفي أثناء ذلك تمت محاكمة حمدون
وقضى عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وجاءه فرج يا مسهل — كالعادة — بأخبار
الحارة فقال له لمناسبة الحكم على حمدون :
— لم يعطف عليه أحد في الحارة !

فقال عزت بأسى :

— لعلهم يتمنون لي مصيرا مشابها !

— ست عين تدفع عنك بخيرها العميم نيات
السوء . . .

— وما أخبار الدار ؟

— الست الكبيرة كعهدها ، هي هي لم تتغير ،
أم سمير رفضت أن تتزوج من عيش النجار
مفضلة البقاء مع ابنها ، سمير يتقدم في الدرس
بنجاح وذكاء .

وتذكر الحديقة و غرزة الحصن العتيق وسمير
الذي سيشب جاهلا أباه ، ولكن فيم يفكر في ماض
انقطعت عنه أسبابه الى الأبد ؟

★ ★ ★

وقال ليدرية :

— ما رأيك في أن أجرب حظي مع مسرحية
المرحوم يوسف راضي ؟
فقلت بلا حماس :

— جرب ، الموسم حتى الآن غير ناجح تماما .
— وربما وفر لها اسم مؤلفها — الذي لم ينس
الناس مأساته بعد — نجاحا اضافيا .

فقلت بدهشة وهي تبتسم :

— صرت حقا صاحب مسرح يا عزت !
فضايقته ملحوظتها وقال بشيء من الحدة :
— لقد صرت صاحب مسرح عن أجلك .

— أجلي أنا ؟ !

— أعني من أجلك وأجله ؟

فحدجته بنظرة معتذرة ولم تنبس .
وقد حققت المسرحية نجاحا ملحوظا أقال
الموسم من ثعتره . ومضى موسم الشتاء بلا
سرور ، ولكنه نجح نجاحا فذا في موسم روض
الفرج الجديد - وكان يسرف في العمل كما يسرف
في كل شيء ولكن بلا سعادة حقيقية . وظل الحب
يطارده بلا أدنى أمل . وسنحت فرصة - والفضل
فيها لفرج يا مسهل - لتأجير مسرح الاليزيه
بشارع دوبريه فاستأجره مدفوعا بروح المغامرة
والآمال الغامضة ، وقال لبدرية :
- ها هي فرصة للعمل في قلب المدينة ، أن لك
أن تلمعي كنجمة حقيقية .

٢٠

أنفق في الاستعداد للموسم الجديد مالا كثيرا ،
والاليزيه مسرح حسن بناء وموقعا وقد كان
مغلقا من أعوام بسبب اختلافات بين الورثة
حتى استحقه بحكم قضائي الخواجا بنيامين فكان
عزت أول مستأجر له في حياته الجديدة . شعر
بأنه أصبح صاحب مسرح بالمعنى الدقيق للكلمة
وأنه سيعمل بكل فخار في مجال رمسيس والأزبكية
وبرنتانيا . أجل لم يوفق الى ضم ممثل أو ممثلة

ذات شأن الى فرقته ولكنه كان شديد الثقة ببدرية،
ومضى يحلم بنجاح مرموق حتى ليلة الافتتاح .
واذا به يتلقى صدمة باردة فيرفع الستار عن
صالة ثلاثة أرباعها خالية . اعتقد بادئ الأمر
أن فرقته غير مؤهلة للنجاح في وسط المدينة ولكن
أنباء ترامت اليه عما تعانيه المسارح جملة من
فتور وانكماش . وما كان يوسعه الا أن يستمر
ولعل النجاح الوحيد الذي قسم للفرقة كان من
نصيب بدرية اذ تقدم لخطبتها تاجر ثرى !
عرف ذلك عن طريق فرج يا مسهل وليس عن
طريق بدرية فضاغف ذلك من آلامه المزمنة .
وانفرد بها في حجرة الادارة في جو ثقيل من
الخبية وفي نيته عزم على التحدى . قال :
- الحال كما ترين . ترى ماذا يحسن بنا أن
نفعل ؟

فقالت بحزن :

- يحسن بك ألا تستمر .
- الجميع يخسرون .
- هذا ادعى للأخذ برأىي .
- هل نرجع الى الكلوب المصرى وروض
الفرج ؟
- اذا شئت .
- فقال بارتياح :
- لست متحمسة .

- لا شيء يدعو الى الحماس .
- فتساءل بارتياح أشد :
- وماذا عن مستقبلك ؟
- فغضت بصرها ولم تتبس فسألها بصراحة :
- أحقيقى ما سمعت عن رجل يطلب يدك ؟
- فأجابت بهدوء دون أن ترفع عينيها :
- نعم .
- عجيب أن يجيئنى الخبر من آخرين !
- فندت عنها حركة تنم عن ضيق ولكنها لم تتكلم . قال :
- وهو خبر غير معقول .
- لماذا ؟
- ألم تبدى استعدادا لانتظار الآخر ربع قرن من الزمان ؟
- لم يدر بخلى الفشل . .
- وهل حقا ما يقال من أن الرجل يكبرك بثلاثين عاما ؟
- يحدث ذلك . .
- لعلك خفت عواقب الكساد ، ولكن ما تزال أمامنا فرص .
- فحدجته بنظرة واضحة وقالت :
- المستقبل غامض ، أريد أن أحافظ دائما على كرامتى ، ثم انى وحيدة . .
- فقال محتجا :

- لا .. لا .. لست وحيدة ..
- وتبادلا نظرة طويلة ثم مضى يقول :
- لست وحيدة ، ذلك قول أعتبره جارحا لي .
- أشكرك ولكنى أبحث عن حل دائم ومعقول .
- هنالك حل أجمل ..
- حقا ؟
- أن نتزوج !
- فتفكرت قليلا ثم تساءلت بنبرة لم تخل من
سخرية :
- بدافع العطف ؟
- فقال بحدة واصرار :
- بدافع الحب .
- الحب ؟ !
- الحب القديم والجديد .
- فقالت وهى ترمقه بنظرة ممتعة :
- انه لخير جديد !
- لولا غبار الأحداث لرأيتك من زمن .
- أكان موجودا وحمدون معنا ؟!
- فانكمش انفعاله وسقط فى الرماح ولم يدر
ماذا يقول . وبعد فترة من الصمت الخانق وجد
منفذا للخلاص فقال :
- عاد الحب فى أثناء وحدتك !
- وزجع الصمت كرة أخرى مشحونا بالريبة
وعدم التصديق ، نفخ متحمدا وقال :

- من الغباء أن نعتذر عن الحب !
- فسألته بمرارة :
- من الذى أرسل الخطاب الى النيابة ؟
- انخلع قلبه فزعا • لم يتسوقع أن يجرد من ثيابه بجذبة واحدة • أدرك ما تعنيه ولم يكن نسي شيئا • ولكنه تساءل متجاهلا :
- أى خطاب ؟
- أنت تعرف قصدى ، وجهك يشهد بذلك ••
- ماذا تقصدين ؟
- أنت الذى أرسل الخطاب ••
- انك لمجنونة •
- ولكنه الحق •
- انه الوهم ، ثم أنسيت أنه اعترف قبل وصول الخطاب ؟
- فقلت ببرود :
- ولكن الخطاب كتب وأرسل ••
- تحقيق سخيف لا يقوم على أساس •
- فقلت بهدوء :
- الزواج الذى تقترحه يعنى التماذى فى الاجرام ، منك ومنى أيضا ••
- فقال بعنف :
- المسألة أنك لا تحبيننى !
- هذا صدق أيضا ، أنا لم أحب فى حياتى سوى حمدون ••

— ولكنك لن تتزوجي من ذلك الرجل .
— هذا شأني ، ولا خيار لي .
فقال بغضب :
— سأمنعك . .
فقالت وهي ترفع منكبيها ، ثم مضت وهي
تقول :
— أستودعك الله .

٢١

ذهبت بدرية . توقف العمل . أطفئت الأنوار .
لم يعد صوت يجلجل بخير أو بشر . تقوض عالم
الخيال . تبخر سحره . ران الأسى على كل قلب .
لن يراها وهي تمرح في طيلسان الجارية . لن
يسعد بابتسامة الثغر . ولا بعذوبة الصوت .
نظرة متحجرة رافضة آخر ما أهدته . وداع
الاثم الضنين بالدموع . اذا هلت طلعتها فهي
خيال المحروم . كتب على جوانحه أن تتعذب
بالحنين العقيم . أن يتذوق الألم كتمزج المخمور .
أن ينادى الغيب ليصعد عنه سخریات الغيب .
ملعون يوم رأيته ملعون يوم رجعت اليك . ويوم
ماكر شرير يوم لمحتك في الكتاب . حين قدر البؤس
على الوجيه المدلل . حين تواتبت العصافير فوق

الفصون محذرة • ومضت عين بحماقتها تكفر
عن حماقات البشر • وتلقى من الحصن العتيق
ثورة ولكن بقلب طفل غرير • وشهد المجاذيب
والمساطيل بجمالك يا بدرية • وها هو ضغط
الحياة لا يسمح للمحزون بأن ينعم بالحزن •
مضى يصفى عمله ويتخلى عن رجاله بألم بالغ •
لم يبق معه من ماضيه القريب الا فرج يا مسهل •
وحتى هذا قال له :

— أن لك أن ترجع الى دارك العامرة •
كيف يرجع بالخبيثة والجريمة والحب
الضائع !! • قال :

— فات الألوان ••

— مكانك هناك ، ستجدنى فى خدمتك ، لقد
خلقت للوجاهة والعز •

— تريد أن ترجعنى الى البطالة والغم ••
— بل الى الوجاهة والزواج ثم الحج الى بيت
الله !

فقال باسمه :

— انى الآن فى زمن العذاب ، فى عمر قادم
سأعمل بما يناسبه ، أليس عندك رأى آخر ؟
سرعان ما تحول الرجل من أقصى طرف الى
أقصى طرف ، سأله :

— هل عندك مال موقور ؟

— نعم •

— عظيم ، حول المسرح الى ملهى ليلي ، فهذا
زمن الملهى !

— ألك خبرة بذلك يا مسهل ؟

— الحمد لله ، سيبقى المسرح كما هو ، تتغير
الصالة ، البوفيه يكبر ، أما البنات وخلافه فدرع
أمرها لى . .

أدرك أنه يغوص فى أعماق مظلمة . لم يفزع
ولم يتردد . ألقى بنفسه فى تيار الاستهتار وكأنما
ينتقم من عدو مجهول . وراح يا مسهل فى تفكير
عميق وهو يقول :
— ربحه مضمون .

★ ★ ★

انهمك فى تحويل المسرح الى ملهى ليلي . جاء
البناءون والنجارون . جرى الاتفاق مع الفتيات
والجرسونات والعازفين . مثل الادارة خير
تمثيل بيدانته المتزايدة وحزمه المكتسب . وانتقل
من شقة حدائق شبرا الى شقة بشارع دوبريه
نفسه . وزود نفسه بما تشتهيه من طعام وشراب
ومخدر ونساء . صمم على نسيان بدرية كما
نسى عين من قبل ، وأن ينسى كذلك جريمته .
وجعل يقول لنفسه انه ما فعل الا أن أرشد
العدالة الى قاتل . ورغم ذلك لم يستطع أن يبدد
سحب الكآبة ولا أن يسكت صوت النكد الخفى .

★ ★ ★

وعلى فترات متباعدة من الزمن تجيئه أخبار
الحارة فتثيره وتنعشه • يجد فيها جديدا وسط
لياليه المفعمة باللهو والطرب والرقص
والعجائب • أمه تطعن في السن ولكنها لا تفقد
حيويتها ونشاطها الدعوب على الخير • تمضي
متوكة على المظلة أو ناشرة أياها من درب الى
درب ، ومن بيت الى بيت ، وقد أضفى الخيال
عليها بركة وقداسة ، وسلم أخيرا بالاعجاب بها
بلا حدود ، فالعمر الطويل الذي يتحدى الزمن
بنشاطه وقدراته مما يستحق الاعجاب والتقدير •
انها مصممة على الخلود والشباب • وسيدة
أصبحت وكأنها صاحبة الدار وبخاصة بعد وفاة
أمها • أما سمير فانه يشق طريقه بنجاح خليق
بأن يكفر عن سقوط أبيه ، وها هو يتأهب لدخول
مدرسة الهندسة ، وكما يخلق من ظهر العالم
فاسد يخلق من ظهر الفاسد عالم •

وربما تساءل أحيانا عما جرى لبدرية • وقد
تكفل الزمن باعدام حبه هذه المرة حتى الموت
وليس كالمرة الأولى • انه يدرك الآن أن كل شيء
يموت وأن ما يلزمنا حقا هو شيء من الصبر عند
الملمات • لعلها اليوم أم محجوبة وراء الأستار أو
لعلها أرملة ، أو لعلها مطلقة وشريفة • ماذا يهم ؟
ما هي الا مجرمة • هي قاتلة يوسف راضى •
هي دافعت الى الخيانة ، هي مرسله حمدون الى

التأييدة • ماذا بقى من جمالها ؟ • أى شىء هذا
الجمال الذى يعيش بضع سنين ؟ • ولكن كتب
على الانسان أن يتعذب بلا سبب ، ولولا الطعام
والشراب والمخدر لفسدت الأرض •

★ ★ ★

وتمر أعوام أيضا • تتراكم أرباحه ، تزداد
بدانته ، ترمقه الأعين بالحسد ، يجد فى الهروب
من الألم والكآبة • آمن بأن السعادة هى التخفيف
من الألم المحتوم ، وأن الانسان يتألم لسبب فاذا
لم يجد السبب تألم أوتوماتيكيا • وذلك الملل
الخفى الذى يتبعه كما يتبع الصوت عجلة العربة
بلا تحديد لمصدره • أما أسعد الأوقات حقا فهى
وقت النوم العميق • وانه ليرنو الى الضاحكين
بارتياب حتى خيل اليه أن ملهاه الليلى ما هو الا
بؤرة للمجانين والتعساء • ترى هل تنتهى هذه
الحياة بخراب فناء شامل ؟ ! • وعجب كيف أنه
لا يعرف فى دنياه من يأنس اليه الا فرج يا مسهل •
وأيقظه أرق فى الهزيع الأخير من الليل •
جاش صدره بالعواطف الحزينة الغامضة • قرر
فجأة أن يستدعى ابنه ليراه •

انتظر في شقته الأنيفة ضحى يوم الجمعة • لم
يتصور أن يتخلف عن الحضور • وحتى لو وقع
المحذور فليتحمل ما جنت يداه •

« عزيزى سمير ••

لا تدهش • كاتب الخطاب هو أبوك • سوف
تتساءل أبعد ذلك العمر ؟ لكنك لم تعرف أعماق
حياتى حتى يحق لك الحكم على • أبوك يدعوك
الى مسكنه (عمارة ٣ ، شارع دوبريه ، شقة ١٤)
صباح الجمعة القادم (١٤ مارس) • ما كان
يجوز أن نفترق ذلك الزمن الطويل ونحن فى مدينة
واحدة • الأسباب كثيرة ولعلك سمعت الكثير
ولكنك لا تعرف كل شيء • انى والدك على أى حال •
من الواجب أن نتعارف • سيسعدنى جدا أن
أقابلك •

« عزت عبد الباقي »

لن تمنعه من الزيارة أمه ولا جدته • ارتدى
البيجاما والروب ، حلق ذقنه بعناية ، سوى
شاربه ، مشط شعره ، تطيب ، انتظر • وفى
الساعة العاشرة دق جرس الباب • انتقل الرنين
الى قلبه ، هرع بجسمه البدين الى الباب • فتح •

رأى شابا لم يشك لحظة في هويته . خفق قلبه
كما لم يخفق من قبل . فتح ذراعيه . أخيرا
تلاقى الأب والابن وتعانقا . . مضى به الى حجرة
الجلوس . جلسا على فوتيلين متقابلين وراء باب
الشرفة المغلق . بينهما خوان عليه طبق سمح
متعدد الثغرات مليء بالفواكه والنقل والشيكولاتة
ودورق ماء ، وقارورة اسباتس وقدر ذو حامل
فضى . راحا يتبادلان النظر في اهتمام وانفعال
وعلى شفقتى كل منهما ابتسامة متألفة ترتعش في
شيء من الارتباك . سره أن يراه رشيق القامة
مع ميل الى الطول ، وأن يرث عيني « عين »
الجميلتين وأنفهما الطويل السامق وجبينها
المرتفع . يا له من شاب مليح عامر بالحيوية
والذكاء .

وقرر انهاء الصمت فقال :

— انى سعيد جدا برؤياك .

فأجاب بصوت نكره بصوت سيدة :

— وانى لأسعد يا أبى . .

وهو يضحك :

— لا شك أنك تعرف عنى أشياء ، لعلها غير

سارة ، أنا أيضا أعرف عنك الكثير ، عندى من

يوافينى بالأخبار ، ومن ذلك تدرك أنتى لم أتناس

الأهل والمكان . ولكن لنسعد جانبا ما يعكر

الصفو ، ولندافع عن سعادتنا المشتركة ما أمكن .

- خير ما نفعل .
 - أنت طالب في الهندسة ؟
 - أجل .
 - وناجح في دراستك فيما بلغني ؟
 - أملى كبير في بعثة الى الخارج .
 فأشار الى الخوان يدعوهُ الى تناول شيء
 وقال :
 - هائل ! أبوك لم يحب الدراسة ولم يوفق
 فيها ، وتسليتي في قراءة قصص الجريمة ، لكن
 الزمن يجيء دائماً بالأحسن ، كل واشرب ، ثم
 حدثني عن حياتك .
 فقال وهو يصب الاسياتس في القدرح :
 - دراستي هي شغلي الشاغل ، في العطلة
 أمارس الرياضة والمطالعة . .
 - لا تلمني اذا لم أسألك عن أمي أو أمك فاني
 أعرف عنهما كل شيء ، ماذا تطالع ؟
 - موضوعات شتى . . سياسة . . أدب . .
 دين . . وأحب السينما كذلك . . .
 وهو يضحك مرة أخرى :
 - والمسرح ؟
 فعصر عينيه من الدموع التي بعثتها الغازوزة
 متجاهلاً السؤال فقال عزت :
 - لذلك أفلسيت المسارح ، وهل تهتم
 بالسياسة ؟

- الجيل كله يهتم بها .
- فغشيت عينيه نظرة جادة وتمتم :
- للسياسة مآسيها !
- أحيانا .
- فقال عزت معاودا المرح :
- لن أنصحك بشيء ، أتدرى لماذا ؟ ، لأننى
- ما عملت بنصيحة أحد !
- فقال سمير بحبور غمره من خلال ألفة
- متزايدة :
- طالما تشوقت لرؤياك ..
- ولم لم تشبع أشواقك ؟
- خيل الى أنك لا تهتم برؤيتى !
- تخيل خاطيء مائة فى المائة ولكنك لا تعرف
- كل شيء ..
- وقدم له برتقالة ثم سأل :
- لم يكن لى أصدقاء كثيرون . وأنت ؟
- لى كثيرون منهم ، فى الحارة والمدرسة ..
- ولا شك أن علاقتك بأهلك وجدتك جميلة ؟
- على خير ما يرام .
- أيهما أحب اليك ؟
- فابتسم وقال :
- الأم هى الأم ولكن سحر جدتى لا يقاوم !
- انها العجيبة الثامنة فى الدنيا ..
- كيف هان عليك أن تهجرها ذاك العمر كله ؟

وقال لنفسه ان ابنه لم يعرف الضجر ولا
الألم بعد ، واذا به يقتحمه متسائلا :
- هلا حدثتني عن حياتك العاطفية ؟
فارتبك سمير ويدا عليه أنه لم يفهم فرحمه
أبوه وسأله :

- يهمنى أن أعرف أنت سعيد ؟
- أعتقد ذلك .
- في ذلك الكفاية ، أرجو أن تكون سعيدا حقا .
- أعتقد ذلك .
- عظيم ، استمتع بوقتك فالحياة لا تبقى على
حال .

فتفكر الشاب مليا ثم سأله :
- وكيف حالك أنت يا أبى ؟
- ناجح والحمد لله .
- أعنى أنت سعيد ؟
- فضحك عزت عاليا وقال :
- أعتقد ذلك !
- لدى سؤال ولكنى أهاب طرحه ..
- صارحنى بما تشاء ..
- أنت متزوج ؟
- ماذا يقولون هناك ؟
- يقولون انك متزوج ..
- ومن الزوجة التى زعموا ؟
- بدرية المناويشى !

- فضحك عزت مداراة لانفعاله وقال :
- أتزوج من امرأة الصديق السجين ؟ ! ..
- هل تصورت أن أباك يرتكب فعلا خسيسا كهذا ؟
- فقال سمير مرتبكا :
- ربما كانت الشهامة لا الخسة هي ..
- فقاطعه قائلا :
- أبوك لم يتزوج ولم يفكر في الزواج .
- ثم وهو يعاود الابتسام :
- وماذا تعرف عن عمل أبيك ؟
- صاحب ملهى ليلي .
- ترى ما رأيهم في ذلك ؟
- فقال سمير ضاحكا :
- انك أدري بأهل حارتنا !
- وأدري بجذتك أيضا .
- ولكنها تحبك دائما ، لا يمكن أن تتصور كيف كانت فرحتها بخطابك !
- وأنت يا سمير صارحتي برأيك في عملي ..
- انه عمل شريف يا أبى .
- لعلها اجابة مدرسية !
- ولكنها صادقة ..
- ألا يسيئك أن يعلم بها زملاؤك ؟
- انهم يعرفون !
- أنت ولد شجاع .
- بل أنت الشجاع يا أبى ..

— حقا ؟ !

— تفعل. ما تشاء دون اكتراث لآراء الناس !
وتبادلا نظرة باسممة وغامضة ، وتساعل عزت
تري ألم يكن يفضل أن يجد أباه أقل بدانة وأنظف
عملا ؟ ! . وشعر بأنه ما زال عند أول درجة من
درجات التعارف . وأن الكلفة لم ترفع بعد
بينهما ، قال :

— لا يجوز بعد اليوم أن تغيب عني طويلا ،
سأنتظرك كل جمعة . .

فقال سمير معتذرا :

— أعدك بذلك ولكن بدءا من العطلة الصيفية .
تلقى أول خيبة ولكنه قال :

— أجل ، الامتحان يقترب ، فليكن ، وعلى
فكرة لقد أعددت لك غداء طيبا !

٢٣ .

بدخول سمير في حياته تغير تركيبها بعض
الشيء . على أي حال لم تعد كما كانت . وتوثقت
العلاقة بينهما في الصيف فتحولت الى معاشرة
على مستوى رفيع . فاز بسعادة صافية يوم
الجمعة ، وأعدت عليه ذكريات عذبة بقية
الأسبوع . ومنه عرف أنه يحب طالبة بكلية

العلوم تدعى رجاء وأنه سيعلم خطبته فور
انتهائه من الدراسة فسعد عزت بالخبر . رحب
بالحب الموفق واعتبر نفسه مشاركا فيه على
نحو ما . هنا ابنه على التوفيق الذى حرم منه
طيلة عمره . ترى كيف كانت تكون حياته لو
تزوج من بدرية يوم رغب فى ذلك ؟ . أى حياة
نظيفة ومستقرة أفلتت من كليهما ؟! . ترى ألا
تخطر لها مثل هذه الخواطر أحيانا ؟ أما الذى
أزعجه حقا فهو اهتمام ابنه الواضح بالسياسة .
أصبحت السياسة مقرونة فى ذهنه بالخيانة
والجريمة والضياع . قال له مرة :

— السياسة شديدة الخطورة يا سمير .

— ألم تشغل بالك أبدا ؟

— كلا .

— وتظن أنه لذلك توفرت لك السعادة ؟

خطف منه نظرة فقد حسبه يسخر منه ولكنه

وجده جادا بريئا . قال متهرجا :

— لقد قضت السياسة على صديقى الوحيد فى

هذه الدنيا .

— حمدون عجربة ؟

— أجل ، أسمعت عن جماعة أبناء الغد ؟

— طبعا .

— انها للأساة حقا .

فقال سمير باسم :

– ومأساة أيضا ألا نهتم بالسياسة •
– كان يردد ذلك ، ألا يكفيك أن تكون مهندسا
ورب أسرة ؟

– لا هندسة ولا أسرة بلا سياسة !
– مرحى .. مرحى .. يوجد ما هو أهم •
– حقا ؟

– يطيب لى فى أوقات فراغى النادرة أن أتساءل
عن معنى حياتنا !

– ولكن السياسة تعطيك الجواب !
فضحك عزت عاليا وقال :
– لا فائدة ، ولكن معذرة فقد أصبحت من
رجال الماضى !

– ما زلت شابا !
ابتسم عزت بمرارة • ابنه لا يدرى ماذا
يقول • لا يرى هذا الكرش • ولا هذه التجاعيد
المبكرة تحت عينين أضناهما السهر والشراب
والمخدر • ولم يعرف شيئا عن الخطاب الغفل
من الامضاء ، ولا عن احتقار المطلقة المهجورة
له واشارها لحيوان طاعن فى السن • وعاد
يسأله :

– وما الهدف من السياسة ؟
فأجاب بعد تفكير :
– هو هدف كل انسان ، السعادة !
– ولكن للسعادة سبلا أسهل وأقل خطورة •

— لا أظن ، نادرا ما يحقق انسان ذاته
وسعادته مثلك !

فقال بحدة غير متوقعة :

— لا تضرب بى المثل من فضلك !

وتذكر أمه فى اصرارها الأبدى وجولاتها
الخالدة فقال ان الولد سر جدته ، كلاهما مصاب
بجنون واحد ولكنه فريد فى نوعه . أما حياته هو
فهى السعى الدائب نحو سعادة لا تريد أن
تتحقق . وقد وهب الصحة والمال والنجاح
والمرأة ويعيش مطاردا بقوة مأكرة خفية . وقال
بنبرة جديدة مستسلما :

— أتدرى يا بنى ، يبدو أن أكبر خطأ نرتكبه فى
حياتنا هو الاعتقاد بأن الهدف هو السعادة .
فسأله سمير ببراءة :

— فما البديل ؟

فقال فى حيرة وهو يضحك :

— لا أدرى .

— ولكنك خبرت الناس والحياة . .

— لا أرى فى الملهى الا السفهاء والمجانين .

فضحك سمير فى حبور فاستطرد عزت :

— لعل النقص يكمن فى أننا نمر بفترة انتقال .

— أجل ان وطننا . .

ولكنه قاطعه قائلا :

— أعنى الانسان ، انه قادر على ادراك
تعاسته ..

— الأمر سهل ، ما علينا الا أن نزيل أسباب
الشقاء !

فارتفع صوته وهو يقول :

— صديقى حمدون فقد حياته وهو يفعل ذلك .

— ان التضحية .. حسن ، لا بد أنك تسلم
بقيمة التضحية ؟

فأجاب ضاحكا :

— كلا ، انها حماقة لا يبررها الا الجنون .

ولما انفرد بنفسه عقب ذهاب سسمير قال :

« آه لو أجد الشجاعة للاعتراف بخطيئتي ! »

٢٤

تخرج سسمير مهندسا . أعلنت خطبته على

رجاء . اختير لبعثة مدتها عامان في انجلترا .

دعا عزت ابنه وخطيبته للاحتفال بهما في شقيقته .

أعجبته الفتاة . غزاه جو الخطبة حتى الأعماق

— حن فجأة الى حياة زوجية مستقرة . وجد في

حنينه المباغت فكرة جديدة ، مأكرة ، ولكنها

قوية أسرة . لكن أى عروس تناسب رجلا في

سنه ؟ • ان نفسه تعاف النساء اللاتي يزين
شقيقته من أن لأن • يريد أن يرفع النقاب الأبيض
عن وجه برىء في ميعاة الشباب • لعل ذلك آخر
ما ينتظره من سلسلة المغامرات الجنونية • وهبط
عليه الالهام الذى يسبق الاقدام • انه يتذكره
وهو به خبير • غير أن ينايحه جفت وهو يودع
سمير • قبله وهو يقول :

— ليس من اليسير أن أصبر عامين •
وخلت دنياه من الكائنات والحياة • كما
خلت يوم اختفاء بدرية ، ومن عجب أنه توثب
رغم ذلك لتحقيق حلم الزواج الطارئ •

★ ★ ★

يقول الراوى :

ان الحوادث لم تمهله ، كعادتها معه دائما •
تجىء اذا جاءت منقضة كأنما لتفرغ من مهمتها
في أقصر وقت • فذات صباح جذب بصره هذا
العنوان فى الجريدة « القبض على فرع لجماعة
اخوان الغد » • ولأسباب تاريخية ليس الا • •
سرت فى بدنه رعدة شديدة واجتاحه شعور
بالتشاؤم عميق • وقرأ التفصيلات باهتمام مركز
لا يتفق وما عرف عنه من لا مبالاة ازاء ذلك
النوع من الأخبار • انه يتابع الأخبار هذه المرة
وكأنما هو عضو فى هذه الجماعة المخيفة ، وكأن

من قبض عليهم من الشبان أقرانه ، وما ضبط
من منشورات هو شريك في تحريرها وطبعها
وتوزيعها . ونشر خبر القبض على الفرع
باعتباره أول نصر يحققه جهاز الأمن في ذلك
المجال ، وأنه الخيط الذي سيؤدي حتما إلى
أوكار الجماعة حيثما وجدت . ومضى يهش
الذكريات المعتمدة عن خياله المريض ، ويلعن
الضعف الذي اعتور أعصابه . ولكنه تابع
الأخبار يوما بعد يوم حتى صدر البيان الرسمي
عن الموضوع . لقد قبض على الكثيرين ،
والمطاردة جادة في ادراك الهاربين . وإذا بالبيان
يشير إلى حقيقة جديدة ما ن اطلع عليها حتى
تردى قلبه في هاوية . . بل نددت عنه صرخة
مدوية في شقته الخالية . ثمة كلام عن سمير عزت
عبد الباقي . عضو البعثة الهندسية بانجلترا .
الذي هرب من انجلترا في اللحظة المناسبة إلى
مكان مجهول . راح يتمشى مهرولا بجسمه البدين
ويتساءل في ذهول « سمير عضو في جمعية أبناء
الغد ؟! سمير هرب إلى مكان مجهول ؟! هل
يختفي سمير إلى الأبد ؟! هل يلتهمه الضياع
والتشرد في الغربة ؟! ها أنت تنتقم مني يا حمدون
عجرفة . انى خير بهذه الألاعيب القاتلة التي
تصادفنا ونحن نجد في سبيل السعادة ! . عزت

وسيدة وعين ينصهرون في بوتقة تعاسة واحدة .
يا لها من ألعيب قاسية مجنونة يحركها شيطان
ساخر . . وشرق بالدمع فجفف عينيه بالمنديل
الحريري المطرز ركنه بالحرفين الأولين من
اسمه . وقال له فرج يا مسهل معزيا :

— حظه على أى حال أسعد من الذين قبض
عليهم . .

— لا أدري . . انى واثق من شىء واحد فقط
وهو أننى لن أراه مرة أخرى في هذه الحياة . .
فقال الرجل بتسليم :

— لا يعلم الغيب الا الله . . هلا زرت الست
الكبيرة ؟

خطر له هذا وهو غارق في حزنه . . أن يزور
عين وسيدة . . ولكنه سرعان ما نبذ الفكرة في
غضب ونفور . ليس الوقت بالمناسب للتمثيل
والحركات البهلوانية . انه يعلم الآن بما قدر
عليه . أن يقلع عن أحلام السعادة السخيفة ، أن
يتسول رؤية لن تتحقق ، أن ينفذ حكما بالأشغال
الشاقة المؤبدة وهو قائم بين السكارى وطلاب
اللذة .

★ ★ ★

وزحف عليه تعب من نوع جديد شمل الرأس
والأعضاء . وعانى من صدام لم يعرفه من قبل

ربما كانت الفائدة الوحيدة لذلك الألم الوحشى
أنه أجبره - ولو الى حين - على تناسى أزمته
الأبوية ، وألا يفكر فى شىء سواه . ولأول مرة
يقصد عيادة طبيب . واكتشف أنه يعانى من
ارتفاع كبير جدا فى ضغط الدم . وعملا بمشورة
الطبيب وافق على دخول مستشفى الجمعية
الخيرية الاسلامية ليظفر برعاية متصلة حتى
يزول الخطر . وهدف العلاج الى تخفيض الضغط
وانقاص وزنه عشرين كيلو على الأقل . وأشرف
فرج يا مسهل على الملهى ، وكان يزوره
باستمرار ، وكان يقول له :

- دعنى أخبر الست عين .

جعله هذا الاقتراح يستشعر الخطورة ويفكر
فى الموت . تخيل عين جالسة مكان فرج يامسهل .
كلا انها لن تفارق الفراش . سينهال عليه سيل
فياض بالدعوات المباركات والآيات الشريفة .
ستقول له أن لك أن تغير حياتك ، ستقول له أيضا
انى أعرف سر هذا الشقاء كله . ورغم حنينه
الطارىء المستفحل بالرقاد والتفكير فى الموت
فانه لم يستسلم .

قال :

- لا تخبر أحدا ، لا عين ولا أحدا فى الملهى .

- ترى ذلك ؟

— نعم . . نفذ بكل دقة . . لا عين ولا أى راقصة ولا أى قواد !

وأخذ يتلقى التحذيرات عن البدانة والطعام والشراب ، تهاوت الحصون التى يحتوى بها من الحياة وأطوارها الغريبة . يجردونه من أسلحته ، ويتحالف المرض مع العقوبات المفروضة ، ومن عجب أن رأى فى نومه قطط الست عين فى الحديقة ، ورأى بينها بركة بهدوتها الشامخ ، وتهلل لذلك سرورا وظن أنه سيفاجئ عين بالخبر السعيد وهو أن بركة حية لم تمت كما توهمت وأنه ما كان يجدر بها أن تبكى . واستيقظ ليلتها عند الفجر بقلب ثقل بخلاف المتوقع ، كمن يرجع من رحلة طويلة عقيمة ، فخطر له أن الدنيا قطة وأنها تأكل صغارها وقال بصوت مسموع فى سكون الليل :

— اذا كان شارع دوبريه والاليزيه سجنًا فالحارة ليست الا زنزانة !

★ ★ ★

وغادر المستشفى نحىلا هزيلا ولكن سليما . تهدلت ملابسه الداخلية والخارجية ، وتبدى العالم متغير اللون ، باردا ، لا يحيى ولا يرد تحية . ورجع للتفكير فى سمير ولكن من خلال استسلام شامل . وحرص على الحياة رغم كل شيء

فاحترم الرجيم والدواء ومواعيد التردد على
العيادة . وهجر الكأس ولكنه لم يهجر الجوزة .
وأعاد تفصيل ملابسه . رجع رشيقا كما بدأ .
انتشر المشيب في رأسه وحاجبيه وشاربه . بدا
كهلا وقورا يتنافر وقاره مع بيئته وعمله . وكلما
تذكر أنه جاوز الخمسين يدهش ، لا يصدق ،
يستحضر مناظر خالدة في خميلة الياسمين أو
كتاب الشيخ العزيزي أو تمثيل مسرحية روميو
وجولييت في الحارة . كان يظن أن ذلك يحدث
للغير فقط . فالظاهر أن التاريخ صادق فيما
يؤكد من مرور أقوام في القديم وذهابهم . وحتى
متى نسلم بذلك ونذعن له ؟ ولكن شكرا للعادة
فقد قتلت كل حزن وكل فرح — ونعله من الخير أن
نترك الدنيا بعد أن نضيق بها مللا .

★ ★ ★

وماذا عن الحارة ؟
ان المخبر مستمر في رواية الحكايات . مازالت
سيدة منطوية في الدار منطوية على أحزانها .
ما زالت عين مصرة على نشاطها . لكن هيهات .
لم تعد تخرج الامرة واحدة في الأسبوع . كتمثال
للشيخوخة الخالدة . وتسير اذا سارت بصحبة
خادمة . ترى ماذا بقي من الذاكرة والارادة
والذكاء ؟ وأي الحزنين أشد عليها حزنها . على

عزت أم حزنها على سمير ؟ • وما رأى إيمانها !
الراسخ في هذه الأحوال الغريبة ؟ ! هل لقي
الموت مقاومة أشد مما لقي على يدى عين ؟ !

٢٥

يقول الراوى :

ان عزت عبت الباقي لم يتوقع جديدا الا أن
يكون انزال الستار واطفاء الأنوار • ولكن فرج
يا مسهل زاره في شقيقته ذات صباح من أيام
الخريف وقال له :

— عرفت خبرا غريبا لعله يهكم أنت أكثر من
جميع الناس •

فقال عزت ساخرا :

— لك الملهى وما فيه ان استطعت أن تشعل
اهتمامى ! •

— لكنه خبر يحكى على أى حال •

— ما هو ؟

— بدرية المناويشى نجمة مسرحك القديم • •

من أى صمت يخرج هذا الاسم ! نجمة مسرحك
القديم • لم يحدث أى رد فعل • نجمة يتهادى
ضوءها اليه من خلال أعوام طويلة طويلة ،

وكالنجوم تشكّل ذكرى متألّقة وحاضرا مجهولا .
أى معنى للخبر ؟ . لا معنى على الإطلاق ولا
أهمية . تبساءل بفتور :
- ماتت ؟

فضحك يا مسهل وقال :
- كلا ، يقال انها ترملت منذ عامين أو نحو
ذلك ، وانها ورثت مالا سائلا لا بأس به ، ولكن
أقدرى كيف استثمرته ؟
- كيف ؟

- أسمعت عن ملهى زهرة النيل الليلي ؟ !
- هو ملهى فى عوامة فيما أعلم .
- بدرية صاحبتة ومايرته !
ابتسم ابتسامة بلهاء ، تتمم :
- مدهش !
- ربما تكون قد حنت الى أصلها أو قريب
منه .

- أو أنها خافت الوحدة والكهولة ..
- الأرجح أنها اختارته لضمان الربح ..
وضحك عزت . عزت صاحب ملهى الاليزيه
وبدريه صاحبة ملهى زهرة النيل !

★ ★ ★

بدافع الفضول ، بدافع الضجر . قرر أن
يسهر ليلة فى زهرة النيل . قال لنفسه عرفت الآن

لم يرغب الناس في زيارة الآثار . استعد بحمام
فاتر ، بدلة أنيقة ، حلق ذقنه وسوى شاربه
وشعره ، مضى الى زهرة النيل . أعمارنا متماثلة
.. حمدون وأنا وبدرية وسيدة وكل أخذ نصيبه
بالعدل . من المسئول عن تعاسة الجميع ؟ أنا ..
حمدون ؟ .. بدرية ؟ .. سيدة ؟ .. أما كان
يجب أن نحاكم ؟!

والعوامة معدة على هيئة صالة ، باللغة الأناقة
مرتفعة الأسعار . تشهد لمن أسسها بالذوق
الجميل والبراعة في الخيال . اتخذ مجلسه
وراحت عيناه تجوسان في الأركان والصفوف
والمرح ، ان صح ظنه فحجرة الادارة تقع فوق
السطح ويصل اليها بهذا السلم الحلزوني
المفروش بالبساط الأحمر . طلب زجاجة
شمبانيا . كان الوحيد المنفرد بنفسه . لماذا
جاء ؟ ولماذا لا يجيء ؟ . وغنى شاب بطريقة
الافرنجواراب . تلاه مونولوجست ، ثم راقصة .
هل تمضي الليلة دون ظهور بدرية ؟! كان ينظر
من آن لآن الى السلم الحلزوني . انتبه على طقة
حذاء . أخذ الجسم يظهر رويدا فوق السلم
الحلزوني من أسفل الى أعلى حتى استوى عند
رأس الصالة ، بدرية المناويشي ، وقفت تراقب
وتلاحظ . مديرة بكل معنى الكلمة ، فراح

يتفحصها • كان يتوقع تغيرا ولكن غير هذا
 التغير المائل • بدينة مثل امرأة عمدة • ريانة
 الوجه بدرجة تدعو للنفور • جف الماء العذب
 وانطفأ التألق • في مثل عمرها يحتفظ نساء بأثار
 جمال ولكنها لم تحتفظ بشيء • ثم ما معنى هذه
 النظرة في العينين المكحولتين ؟ • ليست طبيعية ،
 مريضة ؟ • مهزوزة الأعصاب ؟ • فاقدة
 الذاكرة ؟ • حكاية تاريخ طويل تعيس ! • مرت
 به عينها فلم تقف عنده • من الأفضل أن
 يتجاهلها وأن يتحاشاها • ولكن ها هي تتهادى
 في المشى الجانبي • ورغما عنه لم يهرب منها
 بعينه • لقد جاء وعليه أن يتحمل المسؤولية •
 لم يعد يفصلها عنه الا متر • تلاقى العينان •
 ابتسم اضطرارا • وقفت مبهوتة لا تصدق
 عينيها • وقع المقدور • زحزح كرسيه ووقف •
 همست :

— يا أطفاف الله ..

مد يده فتصافحا • أشار الى الكرسي الخالي
 هامسا بدوره :

— تفضلي ..

فجلست وهي تتمتم :

— يا حسين مدد !

فضحك عزت متسائلا :

— اطلب لك كأسا ؟

— كلا . . نسيت عاداتها . . وأنت لم تشرب
بعد ؟

— ولن أشرب ، ولكن بسبب المرض . .
— سلامتك . . ليست صحتي على ما يرام
أيضا . . ولكني لم أتوقع أن أراك أبدا . الظاهر
أنه مكتوب على الأحياء أن يتلاقوا .
انقبض قلبه ، تذكر المطارد الغائب ، تتمم :
— ليس دائما . .

— ماذا جاء بك الى ملاهى الشباب ؟

فقال دون مبالاة :

— جئت لأراك !

— كيف عرفت ؟

— أهل الخير كثيرون .

— دهمشت طبعاً ، ولكن يوجد أكثر من سبب ،

وأنت ماذا تعمل ؟

فقال وهو يضحك :

— صاحب ملهى الاليزيه . .

فضحكت ضحكة عالية غير مبالية بالرواد !

فقال :

— تحويل مسرح الى ملهى ليس بالمسافة

الطويلة ، ولكن أنت ؟!

— أسباب كثيرة منها حلم سخيّف بأن أقدم

مسرحيات قصيرة وأمثلها .

— جميل أن يعاودك الحنين الى التمثيل بعد
ذلك العمر الطويل ؟

— مجرد حلم سخيـف .

— وكيف كانت حياتك الماضية ، أعنى منذ
فارقـتنا ؟

فـقالت مقطـبة :

— غاية فى التعاسة ، بين زوج لا رجاء فيه
وكراهية ابنائه وأهله لى ! وأنت متزوج طبعاً ؟!

— كلا ، كما تركتـنى . .

— أخطأت يا عجوز .

— حياتنا مليئة بالأخطاء !

— صدقت ، تسليتى أن أراقب المجانين من

عشاق اللهـى .

— انهم مضجرون فى النهاية . .

— ولكن لا حياة لنا بدونهم ، كيف حال ابنك ؟

أجاب وهو يخفى انفعاله :

— عال . . مهندس قد الدنيا . .

— يرافو . . هذا أهم شىء فى الدنيا . .

— ليس فى الدنيا شىء مهم !

وهى تتنهد :

— أتتذكر أيام الحارة ؟

— تجديدـها الآن سعيدة ؟

— أجل . . وأيام المسرح الناجحة . . وحبى

القديـم . . وأمى وهى تـخل الليمـون ، ترى

أما زالت المرأة على قيد الحياة ؟! .. على فكرة
ما أخبار ست عين ؟

— بخير .

— برافو ! .. ليتنى أزورها ذات يوم ..
وأنت مقيم في دارها ؟

— لم أرها منذ فارقت الحارة ..

— يا خبر ! .. يا ويلنا من أمنا في يوم القيامة !
فقال ببرود :

— اختلفت الطرق .

— طبعاً ، من الفن الخائب الى الملاهي الليلية ،
نحن نمت الى طبيعة واحدة ، وقد تخلصنا في
الوقت المناسب من العضو الصالح !
فقال بامتعاض :

— هو الذى تخلص منا .

— سيخرج قريباً اذا لم يكن قد خرج ، ترى
متى يخرج ؟

— لم أعد أنكر شيئاً .

— ألا تتوقع أن تراه ؟

— لا أظن ، وأنت ؟

— لا أهمية لذلك ، ولكن ما الذى جاء بك الى
هنا ؟

— قلت كى أراك .

— أجل ، أما زلت تذكر حبك القديم ؟

فابتسم ولم يجب . فقالت بحدة :

- الحب كذبة وضيعة ، لئيم مخادع ، يخيل
 الى أتنى لم أحب الا المسرح .
 - حقا ؟ ! . . رغم أنه جاءك عرضا ؟
 - لكننى أحببته ، لم أتخل عن حبه ، فى أيام
 الزوجية التعيسة كنت أتعزى بالانفراد بنفسى
 وترديد بعض الأدوار .
 - تعزية مبتكرة .
 وهى تضحك بقحة :
 - لقد كنت وغدا ، وكان حمدون بطلا ، ثم
 ماذا كانت النتيجة ؟ !
 فقال بحدة لم يستطع تهذيبها :
 - وكنت الشيطان وراءنا !
 - لو تزوجنى الشيطان لكان التوفيق نصيبنا
 فهو خير من أمثالكم من الرجال . .
 فما تمالك أن ضحك وزايله التوتر . تساءلت :
 - لم لم تنشأ على مثال أمك الكريمة ؟
 - أمى مثال لا يتكرر .
 فضحكت ضحكة غجرية دون مناسبة وقالت :
 - ليست أمك وحدها بالمثال النادر ، اسمعنى
 جيدا واحكم بنفسك .
 هزت رأسها المصبوع برشاقة ثم راحت
 تقول فى أناة وتجويد وبصوت منخفض :
 - أيها الأصدقاء ، أيها الرومانيون ، أيها

المواطنون ، أعيروني أسماعكم : انى جئت لكى
ادفن قيصر لا لكى أشيد بذكره .
فابتسم كالحالم وتمتم :
- جميل !

فانتفخت بتشجيعه وواصلت بصوت ارتفع
درجة عن سابقه :

- « ان ما يفعل الناس من شر يعيش بعدهم ،
أما الخير فغالبا ما يطمر مع عظامهم » .
التفت الجالسون حول المائدة القريبة نحو
الصوت وعلت الابتسامة وجوههم ، شعر عزت
بشئ من الحرج ، غير أنه همس وكأنما ليغريها
بالرجوع الى الهمس :

- كل شئ سيطمر مع العظام .
لم تنتبه لقوله ، سكرت بنشوة الفن والذكرى ،
اجتاحها موجة تمرد واستهتار ، جلجل صوتها
في جناح الملهى وهى تتشد :

- « جئت أتكلم فى مأتم قيصر ، كان صديقى ،
وكان وفيا لى ، منصفا معى ؛ لكن بروتس يقول
انه كان طماعا وبروتس رجل شريف » .
أحدقت بمائدته الأعين ، واثرايت الأعناق
من الجناح الآخر ، انتقل المسرح الحقيقى الى
ركنه ، التهب جبينه ارتباكا وحياء ، قال برجاء :
- فلنذهب الى حجرة الادارة !

لكنها كانت قد جاوزت الزمان والمكان ، وقفت

بهيئتها الداعية للثناء وقفة شموخ وتحد ،
وهتفت بصوت هز القلوب والأركان :

ـ « حتى الأمس كانت كلمة قيصر قادرة على
أن تصد العالم • والآن ينطرح هناك لا تبلغ
المسكنة بأحد أن يخصه بتكرمة » •

دو المكان بالتصفيق ، تصفيق الاعجاب
والمجاملة والثناء والسكر • وقال لها عزت
بتوسل :

ـ حسبك • •

فقلت بظفر أبله :

ـ ما علينا الا أن نعود للمسرح •

فقال اتقاء لغضبها :

ـ سأفكر في ذلك •

ـ معنا المال ، سيرجع حمدون ، ماذا

ينقصنا ؟ !

ـ عظيم • • عظيم • • عظيم • •

ـ تعاملنى كطفلة ؟ !

ـ أبدا •

بحدة وحنق :

ـ لماذا جئت ؟

ـ يجب أن نكون أصدقاء •

ـ انك أسوأ ذكرى في حياتى •

ـ الله يسامحك • •

ـ وغد جبان •

— الله يسامحك يا بدرية •

— اذهب ولا تعد !

وصدع بالأمر فقسام ومضى يتسلسل بوجدان
يشتعل • أما هي فعادت تخطب بقوة :

— « أيها الأصدقاء ، أيها الرومانيون ، أيها
المواطنون • أعيروني أسماعكم • انى جئت لكى
أدفن قيصر لا لكى أشيد بذكره » •

٢٦

فر وهو يجفف عرق وجهه بمنديله • أى
حماقة ساقته الى زهرة النيل ؟ • لم لم يعمل
بالحكمة التى تجعلنا نوارى الجثث فى المقابر ؟ •
ما كان أغناه عن تلك التجربة الأليمة التى
انقرزت فى عظامه ، ألم تكفه تجزية سمير
الضائع المشرذ ؟ • وانفرد بنفسه فى حجرة
الادارة وراح يفكر فى حياته •

لم تكن أول مرة ولكنه كان مثارا لحذ الالهام
ضاق أول أمره بالفراغ ولكنه استبدل به عملا
لا يؤمن به • أليس كذلك ؟ لم يكن من رجال
المسرح ، ولا هو من رجال الملاهى الليلية •
العمل يمثل فى حياتى مهريا من شىء أو طمعا فى
شىء أو انتقاما من شىء • أمى أول من دفعتنى

الى الانحراف وهى الخير الصافى . لست قادرا
على فهم هذه الأمور أو هضمها . وما ينقصنى
حقا فهو راحة البال . ما ينقصنى حقا هو
الرضا عن النفس . هل يوجد حقا ما يسمونه
بالرضا عن النفس ؟! . كيف يبلغه الانسان ؟
وأين أجود الجواب على هذا السؤال ؟! . وما
جدوى الأسئلة وأنا مستسلم لتيار الحياة
اليومية ؟ ! وخطر له أن يسأل فرج يا مسهل وهما
يدخنان معا فى شقته عقب التشطيب ، سألته :

— أنت سعيد يا عم فرج ؟

فأجاب الرجل صادقا :

— بفضل الله وقضلك .

أدرك أنه لم يفهم قصده فعاد يسأله :

— ما أهم شيء لتوفير السعادة ؟

— الصحة !

— ولكنها وحدها لا تكفى .

— والرزق !

— ولا شيء آخر ؟

— الزوجة والأولاد .

لقد ضاق بها جميعا وفر منها الى المجهول .

ولو شاء أن يبقى ويتزوج من أخرى لفعل .

كلا ، الأمر أشد تعقيدا مما يتصور فرج يا مسهل .

★ ★ ★

ودق جرس التليفون ضحى يوم فى شقته :

— ألو ؟

— عزت عبد الباقي ؟

— أنا هو .. من حضرتك ؟

— أما زلت تذكر حمدون عجرمة ؟

خفق قلبه مستدعيا خليطاً من الانفعالات
المضطربة ، لكنه هتف :

— حمدون !

— نعم ..

— لا أصدق .. أى فرحة .. مبارك ..

مبارك .. مبارك .. أين أنت الآن ؟ .. تعال
بلا تردد .. انى فى انتظارك ..

★ ★ ★

كان قد مضى على تجربة زهرة النيل شهر أو
شهر وأيام . وجلس ينتظر بقلب كئيب ونفس
رافضة حانقا على الماضى الذى لا يريد أن يموت ،
وخيل اليه أنه يستمد من عذابه قوة ستغير كل
شئ وأنه سيرفض ذل الأسر المقيم .

وأقبل حمدون عجرمة :

أقبل رجلاً آخر كما توقع ولكنه فاق توقعه ،
لم يكده عرفه . رآه لأول مرة أصلع ، وعينه
اليسرى أضيق من اليمنى . على حين وشيت
مشيته الواهنة ورجله اليمنى المتصلبة بشلل
أصابه ذات يوم . تجسد له اثمه القديم مكشرا
بغیضا فاستل من نفسه أى حنان كان جديرا أن

يمس أوتار وجدانه • اجتاحتها عاصفة في الخفاء
وهما يتعانقان • استقره ذلك الى مزيد من التفكير
في البحث عن حياة جديدة • يريد أن يذهب كما
يتعطش الى رؤية سمير ، وجلس في فوتيل مقابل ،
في موضع ابنه المختار ، وتبادلا النظر هو
مبتسما ، والآخر جامدا أو عاجزا بففيه المعوج
قليلا من الابتسام • قال عزت بابتهاج :

— الله وحده يعلم بمدى فرحتي بلقائك •

فقال حمدون بصوت منخفض :

— توقعت ذلك ، لست على ما يرام ، ولكن
يسعدني أن أراك في صحة جيدة ••

فقال عزت كالمحتج :

— بل أصبحت بدوري أخا مرضى ، ليس هذا
هو المهم ، كلانا وراءه حكاية وسيتيح لنا الوقت
تبادل الحكايات ••

فقال حمدون بهدوء وثبات :

— ولكنك أنجيت ابنا رائعا !

فتأثر عزت تأثرا عميقا غطى على دهشته
وتساءل :

— من أدراك به ؟

— لا شيء يفتنح عن وراء الأسوار •

— ماذا تعلم عنه ؟

قلم يزد عن قوله :

— انه فتى رائع ••

- سرعان ما فقدته .
- هز رأسه نفيا ولم يعقب .. ترى هل يعرف
عن سمير أكثر منه ؟ واندفع ربما دون تدبر
ليخرجه من تزمته فقال :
- آخر أخبار بدرية أنها تعمل مديرة للمهى
ليلي .. « زهرة النيل » .. ؟
- ولكنه لم يتأثر . تساءل بلا مبالاة :
- كيف حالها ؟
- شاخت وخرقت !
- نهاية طبيعية وان جاءت قبل الأوان
بقليل ..
- لنرجع اليك .. ما مشروعاتك عن المستقبل !
- لا شيء !
- رغم توقعه لذلك فقد حنق غير أنه قال بنبرة
ودية :
- لا تحمل هما .. ولكنك لست على ما يرام .
- أصيبت من أعوام بشلل نصفي ، ولست
أمل في تحسن أكثر مما بلغت .
- يا للأسف .. ولكن الأمل موجود .
- لا شك أنك متشوق للتأليف ؟ !
- لا قدرة لي على تأليف جملة واحدة .
- على أي حال لا تحمل للرزق هما ..
- فقال ممثنا :
- نعم الصديق أنت !

سرعان ما حدث تغير في صورة انفجار ، بلا
تمهيد ولا مناسبة ظاهرة . خرج به عن الزمان
والمكان . ألقى به في جحيم فتوثب بارادة من حديد
وحطم حاجز الكذب . وقف كصاروخ ، وقال
بصلابة ورفض كألمجنون :

— انى صاحب الرسالة ..

ارتسمت الدهشة على وجه حمدون وتساءل :

— أى رسالة ؟

— رسالة الاتهام التى أرسلت الى المحقق عقب
القبض عليك !

ساد صمت كئيب ثقيل . رماه بنظرة بليدة ،
تساءل :

— أنت ؟ !

— نعم .. وأعرف أنك اعترفت قبل وصولها
ولكننى أنا الذى أرسلتها ..
ازدرد ريقه وسأله :

— لم ؟

— خدمة للعدالة فى الظاهر ولكن لأستولى على
زوجتك فى الحقيقة !

فتساءل حمدون بغموض :

— وتزوجت بدرية ؟

— كلا . ليس بوسعنا أن نسيطر على خطة
كاملة ، اذ أن غيرنا يشاركنا ونحن لا ندرى فى
تأليفها .

وساد الصمت كغلاف لانفعالات شتى ولكن
عزت رجيع من مغامرته الجنونية بشيء من
الهدوء . . وكثير من الاستسلام ، حتى انه سأل
في النهاية :

— ما رأيك فيما سمعت ؟

فأجاب بازدرء :

— انك قدر ولكنك لست أقدر من كثيرين . .

ولم يغضب ، تلقى النزم ضمن سيال مرتعش
من نشوة مبهمة . ووقف على حافة التحدى بقلب
لا يخلو من جذل والهيام . . واعرابا عن حاله
الجديدة قال بصوت لا أثر للاستياء فيه :

— أمامنا فرصة لنسيان الماضي .

فتساءل حمدون بوجوم :

— ألم يكف ربع قرن للنسيان ؟

— كلا .

— ماذا تقصد ؟

— أن نعالج أمورنا بروح جديدة .

— أتريد أن توحد مصائرنا مرة أخرى ؟

— بعزيمة صادقة .

فقال بازدرء :

— انك تبحث عن كفارة وانى أحقر ذلك .

— لم جئتنى ؟

— لم يساورنى فيك شك .

- لقد حطمنا أنفسنا فيما مضى وعلينا أن نحاول البناء .
- فقال بازدياء أشد :
- على أن أبصق على وجهك . .
- فابتسم عزت وهو نشوان بقدرته على الاحتمال .
- انى مسئول عنك .
- انك لا تستطيع أن تعمل مسئولية حشرة .
- بل يجب أن تعيد التفكير .
- لن أراك بعد اليوم .
- كيف تواجه الحياة ؟
- هل طرحت هذا السؤال على ابنك ؟
- تغلغل الألم حتى جذور قلبه فأمسك عن الكلام على حين واصل حمدون قائلاً :
- أى تسامح من ناحيتى يعنى أن عمري ضاع هباء .
- فقال عزت بأسى :
- انى أفكر فى بناء جديد يتسع لحياة صحية تضم حمدون وعزت وبدرية وسيدة .
- تحاول أن تجعل منا أدوات لخلق السلام لنفسك كما سبق أن جعلت منا أدوات لتخريب
- لتشيد فوق أطلالنا السعادة التى رفضتك .
- فقال عزت بحرارة :
- لقد نلت الجزاء وأكثر . .

- لو صح ذلك ما فكرت فينا قط .
 وأخذ حمدون يقوم معتمدا على عصاه الغليظة
 ذات الكعب المطاط فقال عزت برجاء :
 - تخل عن عنادك .
 استقام ظهره على مهل . . تحرك للذهاب . .
 تساءل عزت :
 - كيف تواجه الحياة ؟
 فقال وهو لا يتوقف :
 - كما يواجهها ابنك .
 وخفق قلبه فسأله بلهفة :
 - أنت تعرف عنه أشياء ، ماذا تعرف عن
 ابني ؟
 فقال وهو يعبر العتبة :
 - لا تسأل عما لا يعنك !

٢٧

يقول الراوى :
 ان عزت صار شخصا آخر . منذ ذهاب
 حمدون تواجد عزت الأول وعزت الآخر متجاورين
 في مكان واحد . صورتان متطابقتان تماما غير
 أن الأول رمق الآخر بدهشة وحيرة ، توجس منه
 خيفة واعتقد أن الآخر يتوجس منه خيفة أيضا .

وتساءل كيف يمضى التيار بهما وهما في قارب واحد ؟ لقد اعتاد أن ينفرد برأيه ربع قرن من الزمان وذاك الآخر يتصرف تصرف الشركاء ويعتد بنفسه لحد التحدى . وسمعه يقول :

— لن أستمـر . .

فسأله بحذر :

— ماذا تعنى ؟

لكنه لم يجبه . لم يبد عليه أنه يهتم بوجوده أو يشعر به . فقال وكأنه يخاطب نفسه :

— لن أستمـر ، أصبح ذلك مستحيلا . .

وإذا به يندفع فى اجراءات لم تجر على بال الأول ، قال لفرج يا مسهل :

— انى ذاهب ، لك أن تدير الملهى اذا شئت .

وحدجه فرج يا مسهل ببصر ذاهل فقال الآخر:

— سأبيع أثاث شقتى والتحف وخلافه .

فقال له عزت الأول :

— لا حق لك فى شىء من ذلك .

ولكن الآخر تصرف تصرف المالك الأوحـد .

وأدرك الأول أنه لا قبل له بفعارضته فأوعز الى

فرج يا مسهل باطاعته وأن يوهمه بأنه يصدع

بأمره وأن يبقى كل شىء على حاله . وأخيرا عانق

الآخر فرج يا مسهل وهو يودعه فقال عم فرج :

— رجوعك الى الحارة هو ما اقترحتـه عليك

من بادىء الأمر .

فدهش الأول وسأله :

— أنرجع حقا الى الحارة ؟

وتجاهله الآخر كعادته ومضى الى التاكسي

وقبل أن يتحرك التاكسي قال الآخر لفرج :

— قلبي يحدثني بأننى سأحظى ذات يوم برؤية

ابنى سمير .

فقال العجوز :

— وستجده على خير ما تتمنى له .

★ ★ ★

مضى التاكسي في طريقه الى الحارة . الآخر

متخذاً مجلسه داخله والأول يتبعه عن كثب .

وقف التاكسي عند الدخول فدخل الاثنان الحارة

مشيا على الأقدام . دهش الأول وقال لنفسه

ليس من سمع كمن رأى . شد ما تغيرت الحارة .

جددت أرضها فحل الأسفلت محل الحجارة .

رشقت المصابيح بالجدران . اختفت الخرائب

وشيدت مكانها مساكن ومدرسة . حقا انها تبدو

جديدة . فتياتها يخطرن في الفساتين سافرات .

لم يبق على حاله الا القبو والحصن القديم فوقه .

عمارات سست عين طليت من جديد . أما باب

دارها فلاذ بمكره تحت التمساح الحنط لا ينم

أديمه الخشن عن الفردوس المتراعى وراءه . لم

ينتبه لهما أحد . لم يعرفهما أحد . غريبان في

حارة غريبة ، سأله :

— ألم يكن الأوفق أن نساغر الى الخارج ؟
لكن الآخر طرق الباب • دخل بثقة كمن يدخل
بيته • عرفته خادمة عجوز فهللت فقال الأول :
— عما قريب سترى عين • ماذا عندك من قول
لها ؟

وانجذب — متناسيا الآخر — لروائح الياسمين
والحناء • ورأى قطعة من جيل جديد لا بركة ولا
نرجس ولا انعام ولا أم الليل ولا صباح •
— ها هي سيدة !

ظهرت في المشى الذى شدت منه قديما الى
المذبح • ما أشبهها اليوم بأمها في كهولتها
ولكنها نحيلة شاحبة • حزينه الى الأبد • أنا
المعتدى لا أنت • ولكنها ترنو اليك أنت وكأنها
لا ترانى • ولكنكما تترامقان صامتتين تحت
ضغط الذكريات • ثم يقول الآخر :
— كيف حالك يا سيدة ؟

لم ترد من شدة الانفعال • اغرورقت عيناها
الذابلتان • لعل التاريخ اقتحمها في دقيقة
واحدة ، ولكنها غمغت أخيرا :

— تفضل فى الشرفة فالجو هناك ألطف •
انه الأصيل وآخر الخريف ولكن اليوم دافئ
وجلس على الأريكة القديمة ، كل شىء تغير الا
الدار • وهناك الخميطة التى شهدت عبث
الطفولة • وتساءل الآخر :

— أين أمى ؟
— فى حجرتها •
— ألم تدرى برجوعى ؟
سمع أنفاسها بدلا من الجواب فكرر السؤال •
قالت :

— انها لا تغادر الفراش •
— مريضة ؟ !
— كلا •• انه العمر ••
— كان يجب أن تقودينى اليها •
— يجب أن تعرف أشياء قبل ذلك •
فرمقها متسائلا فقالت :
— لقد فقدت البصر •
قطب الآخر منزعجا ، وأدرك الأول ما غاب
عن فرج يا مسهل • واستطردت سيده :
— وفقدت أيضا السمع !
وقف الآخر مضطربا متسائلا :
— ألم يعالجها طبيب فى الوقت المناسب ؟
— بلى ، أقل ما يجب ، ولكنها ارادة الله •
وقال الأول بحزن :
— لا عودة بلا ثمن •

★ ★ ★

اندفع الآخر الى حجرة عين • رأى وجهها
فوق الغطاء الأخضر على الفراش العتيق ذى
الاعمدة الأربعة • انحسر المنديل الأبيض عن

خصلات فضية • انطرح الوجه نحىلا طويلا
محنتا بالشيخوخة • هتف :

— أمى !

وانكبا على جبينها فلثمهاه فى وقت واحد •
ندت عنها حركة رقيقة وهمست :

— سيدة ؟ !

فقال الأول مخاطبا الآخر :

— رحلة خاسرة •

قال الآخر بحزن :

— أنا عزت يا أمى •

فقال الأول :

— لن تخاطب الا نفسك •

وقالت سيدة :

— لا تكف عن الدعاء لك ولسمير •

فقال الأول :

— فلنسافر الى الخارج •

★ ★ ★

رجع الآخر بصحبة سيدة الى الشرفة والمغيب

يهبط متمهلا • قال :

— ستعرفنى بطريقة أو بأخرى •

فقلت سيدة :

— بالتأنى واللف حتى لا تنفعل •

وابتعدت قليلا حتى كادت تلتصق بالأول

وهى لا تدرى وقالت :

- - يجب أن أذهب .
- فسألها الآخر :
- الى أين ؟
- - أى مكان .
- فقال بحزم :
- - هنا بيتك .
- - ولكن ..
- فقاطعتها :
- - انه بيتك وسيكون بيتك أكثر .
- فسأله الأول :
- ماذا تعنى بالضبط ؟ !
- أما سيدة فقد رمت الآخر بنظرة متسائلة ،
- فسألها مبتسما :
- أيداخلك شك فى أنتى تغيرت ؟
- فهمست :
- كل شىء تغير !
- فقال له الأول :
- من الآن فصاعدا عليك أن تنظم قصيدة
- طويلة فى الرثاء .
- وتساءلت سيدة :
- أما من جديد عن سمير ؟
- فقال الآخر :
- لا جديد ، انه بعيد ، أمى بعيدة أيضا .
- لو أعرف فقط أنه حى يرزق !

فقال الآخر متأثرا بالهام متبعث من الأعماق :

— هو كذلك وسوف نتلاقى ذات يوم •

فقال الأول :

— لا بد من السفر الى الخارج •

وجلست سيدة لأول مرة غير بعيد من الآخر •

وراحا ينظران الى الحديقة معا •

وشعر الأول بأنه آن له أن يذهب • غير أنه

سمع سيدة وهي تقول :

— أوقفت ست عين أملاكها للخير على أن ينفذ

ذلك بعد انقضاء الأجل •

فتفكر الآخر قليلا ثم قال في غير مبالاة :

— خير ما فعلت !

— وعينتك ناظرا للوقف ومن بعدك سمير •

فتمتم :

— عظيم •

— قالت وهي تفعل ذلك عنك « سيمارس

الخير رضى بذلك أو أبى ! » •

فابتسم الآخر وقال :

— سأفعله راضيا •

وقال له الأول :

— أستودعك الله •

غادر الدار • غادر الحارة • مضى الى شارع

دوبريه • استراح قليلا في شقته • ذهب الى الملهى

والمطربة تفتتح السهرة منشدة :

يا ورد على فل وياسمين الله عليك يا تمرحنة
ألقى نظرة على الصالة المكتظة ثم اتجه الى
حجرة الادارة . وما ان انفرد بنفسه حتى قال :
- عندما يرجع سمير سيجد ثلاثة آباء في
انتظاره ، أنا والآخر وحمدون ، سيختار أباه
بنفسه كما اختار حياته .
وتفكر مليا ثم قال :
- سأسافر الى الخارج حال انتهاء الشتاء .

٢٨

يقول الراوى :
انه في ليلة القدر انبعث في الست عين نشاط
غير متوقع . رفضت أن تمس عشاءها من
الزبادى وسألت سيدة أن تجلسها . كسرت
سيدة وراء ظهرها وسادة طرية وأجلستها نصف
جلسة .

وقالت عين وهى تبتسم :
- سيطيب الجو وتشرق الأرض بنور ربها
فارعوا العصافير بالرحمة ..

وتماذت في الابتسام وهى تقول :
- سأغنى أغنية عشقتها في صغرى .
وراحت تغنى بصوت ضعيف مثير :

يمامة حلوة ومنين أجيبها

ثم هتفت :

- انى أرى .. أرى بكل وضوح ..

اقترب منها الآخر وسألها بلهفة :

- هل تريننى يا أمى .. ؟

ولكنها استطردت دون أن تشعر به :

- انى أرى الطيبين الذين ذهبوا .. انهم

ينادوننى .. سمعا وطاعة .. عين قادمة ..

يقول الراوى :

ان الست عين لم تمت .. رغم أن الذين

عاصروا وفاتها لم يعرفوها أو كذلك كانت

أغليبتهم . ما عرفوا الا ما يتناقله الرواة ولكن

ست عين لم تمت .. وحتى اليوم يطلق الناس

على المستشفى الذى قام مكان دارها ...

« مستشفى الست عين » .

« تمت »

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

| اسم الكتاب | تاريخ اول طبعة | تاريخ آخر طبعة |
|-------------------|----------------|----------------|
| مصر القديمة | ١٩٣٢ | |
| همس الجنون | ١٩٣٨ | مجموعة |
| عبث الاقدار | ١٩٣٩ | رواية تاريخية |
| رادوييس | ١٩٤٣ | رواية تاريخية |
| كفاح طيبة | ١٩٤٤ | رواية تاريخية |
| القاهرة الجديدة | ١٩٤٥ | رواية |
| خان الخليلي | ١٩٤٦ | رواية |
| زقاق المدق | ١٩٤٧ | رواية |
| السراب | ١٩٤٨ | رواية |
| بداية ونهاية | ١٩٤٩ | رواية |
| بين القصرين | ١٩٥٦ | رواية |
| قصر الشوق | ١٩٥٧ | رواية |
| السكرية | ١٩٥٧ | رواية |
| الللص والكلاب | ١٩٦١ | رواية |
| السمان والخريف | ١٩٦٢ | رواية |
| دنيا الله | ١٩٦٢ | مجموعة |
| الطريق | ١٩٦٤ | رواية |
| بيت سيء السمعة | ١٩٦٥ | مجموعة |
| الشمس حاذ | ١٩٦٥ | رواية |
| ثلاثة فوق النيل | ١٩٦٦ | رواية |
| ميرامار | ١٩٦٧ | رواية |
| خمارة القط الاسود | ١٩٦٩ | مجموعة |
| تحت المظلة | ١٩٦٩ | مجموعة |
| | | العاشرة |
| | | العاشرة |
| | | العاشرة |
| | | العاشرة |
| | | الثانية عشرة |
| | | العاشرة |
| | | العاشرة |
| | | الثانية عشرة |
| | | الرابعة عشرة |
| | | الثانية عشرة |
| | | الثانية عشرة |
| | | الحادية عشرة |
| | | التاسعة |
| | | الثامنة |
| | | الخامسة |
| | | الثامنة |
| | | السابعة |
| | | السابعة |
| | | السادسة |
| | | الخامسة |
| | | السابعة |
| | | السادسة |

| اسم الكتاب | تاريخ أول طبعة | تاريخ آخر طبعة | |
|------------------------------|----------------|----------------|--------------|
| حكاية بلا بداية ولا نهاية | مجموعة | ١٩٧١ | السابعة ١٩٨٧ |
| شهر العسل | مجموعة | ١٩٧١ | السادسة ١٩٨٢ |
| المرايا | رواية | ١٩٧٢ | الخامسة ١٩٨٠ |
| الحب تحت المطر | رواية | ١٩٧٣ | الرابعة ١٩٨٠ |
| الجريمة | مجموعة | ١٩٧٣ | الخامسة ١٩٨٤ |
| الكرنك | رواية | ١٩٧٤ | السابعة ١٩٨٦ |
| حكايات حارتنا | رواية | ١٩٧٥ | السادسة ١٩٨٦ |
| قلب الليل | رواية | ١٩٧٥ | الثالثة ١٩٨١ |
| حضرة المحترم | رواية | ١٩٧٥ | الرابعة ١٩٨٣ |
| ملحمة الحرافيش | رواية | ١٩٧٧ | الرابعة ١٩٨٥ |
| الحب فوق مضبة الهرم | مجموعة | ١٩٧٩ | الرابعة ١٩٨٧ |
| الشیطان يعظ | مجموعة | ١٩٧٩ | الرابعة ١٩٨٧ |
| عصر الحب | رواية | ١٩٨٠ | الثانية ١٩٨٧ |
| أفراح القبة | رواية | ١٩٨١ | الثالثة ١٩٨٧ |
| ليالى ألف ليلة | رواية | ١٩٨٢ | الثالثة ١٩٨٧ |
| رأيت فيما يرى النائم | مجموعة | ١٩٨٢ | الثالثة ١٩٨٧ |
| الباقى من الزمن ساعة | رواية | ١٩٨٢ | الثانية ١٩٨٥ |
| أمام العرش (حوار بين الحكام) | | ١٩٨٣ | الثانية ١٩٨٥ |
| رحلة ابن فطومة | رواية | ١٩٨٣ | |
| التنظيم السرى | مجموعة | ١٩٨٤ | |
| العائش فى الحقيقة | رواية | ١٩٨٥ | |
| يوم مقتل الزعيم | رواية | ١٩٨٥ | |
| حديث الصباح والمساء | رواية | ١٩٨٧ | |
| صباح الورد | مجموعة | ١٩٨٧ | |
| تحت الطبع | | | |
| قشتمر | رواية | | |
| الفجر الكاذب | مجموعة | | |

رقم الايداع ٢٥٧٢

الترقيم الدولى ٢ - ٤٣٢ - ٤١٦ - ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفيحة



الشمس ٤٢٥ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيدة مولد السحار وشركة